


Journal of Ma'ālim al-Qur'ān wa al-Sunnah

Volume 22 No. 1 (2026)

ISSN: 1823-4356 | e-ISSN: 2637-0328

Homepage: <https://jmqs.usim.edu.my/>



- Title : **Exegetical Trends in Interpreting the Term “Mutawaffika” in the Verse “Innī Mutawaffika wa Rāfi‘uka Ilayya” [Āl ‘Imrān: 55]: Critical Study**
- Author (s) : Aya Fekry Abdelaziz
- Affiliation (s) : Qatar University
- DOI : <https://doi.org/10.33102/jmqs.v22i1.580>
- History : Received: April 1, 2026; Revised: May 15, 2026; Accepted: June 1, 2026; Published: June 30, 2026.
- Citation : Aya Fekry Abdelaziz. (2026). اتجاهات المفسرين في تفسير لفظ "مُتَوَفِّيكَ" في قوله تعالى: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ» [آل عمران: 55]: دراسة نقدية: Exegetical Trends in Interpreting the Term “Mutawaffika” in the Verse “Innī Mutawaffika wa Rāfi‘uka Ilayya” [Āl ‘Imrān: 55]: Critical Study. *Ma'ālim Al-Qur'ān Wa Al-Sunnah*, 22(1), 688–727. <https://doi.org/10.33102/jmqs.v22i1.580>
- Copyright : © The Authors
- Licensing :  This article is open access and is distributed under the terms of [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)
- Conflict of Interest : Author(s) declared no conflict of interest

اتجاهات المفسرين في تفسير لفظ "مُتَوَفِّيكَ" في قوله تعالى: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ
وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ» [آل عمران: 55]: دراسة نقدية

Exegetical Trends in Interpreting the Term "Mutawaffika" in the
Verse "Innī Mutawaffika wa Rāfi'uka Ilayya" [Āl 'Imrān: 55]:
Critical Study

Aya Fekry Abdelaziz*
College of Sharia and Islamic Studies
Qatar University

الملخص

يُعنى هذا البحث بدراسة اتجاهات المفسرين في تفسير لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ فِي يَمِينِكَ﴾ [آل عمران: 55]، من خلال تتبع أقوالهم عبر القرون، في التفاسير الممثلة لمدارس التفسير المختلفة، ودراستها دراسة تفسيرية مقارنة، تكشف مسارها التاريخي، وتبرز مناهج عرضها وترجيحها، للوصول إلى المدلول الأرجح استنادًا إلى القواعد التفسيرية والأدلة السياقية واللغوية، واعتمد البحث المنهج الاستقرائي؛ لتتبع الأقوال، والتحليلي لمناقشتها وتقييمها، والتاريخي لرصد تطورها عبر العصور، مع الإفادة من المقارنة النقدية بين الاتجاهات التفسيرية، ومن أهم نتائج الدراسة أن اتساع الدلالة اللغوية للفظ "التوفي" أسفر عن أربعة اتجاهات رئيسة في تفسيره: القول بالموت الطبيعي مع التقديم والتأخير، والقول بترتيب الألفاظ وحمل اللفظ على بعض دلالاته اللغوية، والقول بالجاز، واتجاه التوقف في تعيين المراد، كما رصدت الدراسة عشرة أقوال في تفسير اللفظ، ونوقشت وفق القواعد اللغوية والسياقية، وتبين أن ستة منها راجحة، وأن اختلافها اختلاف تنوع يجتمع عند مآل واحد، هو الأخذ التام لعيسى عليه السلام وحياته عند الله تعالى، مما يرجح الجمع بينها لا إلغاء بعضها، وكشف البحث عن تدرج المناهج التفسيرية؛ من الاعتماد على الروايات، إلى التوسع اللغوي والصوفي، وصولًا إلى

*Correspondence concerning this article should be addressed to Aya Fekry Abdelaziz, Qatar University at ayafekry@yahoo.com

المدرسة العقلية الحديثة، مع التوصية بالتوسع في الدراسات التفسيرية المقارنة؛ لخدمة القضايا العقديّة والفكرية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: متوفيك. عيسى. اتجاهات. المفسرين. سورة آل عمران

Abstract

This study explores exegetical approaches to the Qur'anic term “*Mutawaffik*” in the verse: “[Mention] when Allah said, ‘O Jesus, indeed I will take you and raise you to Myself’ (Quran3:55) by tracing interpretations of major mufassirūn across representative tafsīr works. development and methods of interpretation and preference. The study adopts inductive, analytical, and historical methods, supported by critical comparison of exegetical trends. The study shows that the semantic breadth of the term *tawaffī* generated four main approaches: death with rhetorical re-ordering (*taqdīm wa-ta'khīr*), maintaining the textual order while reading the term through selected linguistic meanings, figurative (*majāzī*) interpretation, and suspension (*tawqīf*) regarding the precise intent. Ten interpretations are identified and discussed considering linguistic usage and Qur'anic context, six of which are judged preferable. These converge on a shared outcome: the complete taking up of Jesus and his continued life with God, supporting their combination rather than exclusion. The research also uncovers a trajectory from reliance on transmitted reports, to linguistic and Sufi expansions, and finally to modern rationalist readings, and recommends further comparative tafsīr studies to address contemporary theological and intellectual questions.

Keywords: Mutawaffika, Jesus, Approaches, Exegetes, Surah Āl ‘Imrān.

1. المقدمة

إن الله تعالى أنزل ﴿الْكَتَبَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [آل عمران: 7]، وقد علل السيوطي ذكر "المتشابه" في السورة، لما تمسك به النصارى من شبهات⁽¹⁾، ومنها ما أثاروه حول مدلول لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَىٰ﴾ [آل عمران: 55]، ويمثل هذا اللفظ القرآني أحد المواضع التي أثارَت جدلاً تفسيرياً، حيث

(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م، ج3، ص382.

تقرّر الآية الموقف العقدي الحقّ في عيسى، وفي الوقت ذاته تفتح مجالاً للاجتهد في تعيين المراد من لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، إذ لم يأت تركيب الآية بحسمٍ قاطعٍ للمعنى، مما أتاح للمفسرين تقديم اجتهاداتٍ متعدّدة، تستند إلى السياق القرآني أو المعنى اللغوي، ويكشف هذا التعدد عن مسارٍ تاريخيٍّ للحركة التفسيرية، وعن اتجاهاتٍ متباينة في النظر إلى النص؛ بين التوسع في التأويل، والالتزام بظاهر اللفظ، وإثبات الوفاة الحقيقية لعيسى، وهو ما جعل النصارى يتخذون هذا القول مدخلاً للاحتجاج على دعوى الصلب الفدائي لعيسى، كما في قول القس يوسف الحداد: "وفي النصوص كلها التي تذكر "وفاة المسيح" لا توجد أدنى قرينة لفظية، أو معنوية، تحمل معنى الوفاة على المجاز، بل بالعكس فالقرائن المعنوية واللفظية تتطلب وفاة الموت"⁽²⁾.

ومن هنا برزت الحاجة إلى دراسة اتجاهات المفسرين في تفسير لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، وجمع أقوالهم ودراساتها دراسةً تفسيريةً مقارنةً نقدية، تكشف مسارها التاريخي، وتبرز مناهج عرضها وترجيحها، للوصول إلى القول الراجح استناداً إلى الأدلة اللغوية والسياقية وقواعد التفسير، وإظهار ثراء هذا اللفظ القرآني وعمق دلالاته.

1.1 وتتمحور إشكالية الدراسة حول

طبيعة الاتجاهات التفسيرية في فهم مدلول لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: 55]، وكيفية معالجة المفسرين هذا اللفظ عبر العصور من حيث الأقوال والأدلة، ومناقشة القول الأرجح في ضوء السياق القرآني وأصول التفسير.

2.1 أهداف البحث:

1. الكشف عن اتجاهات المفسرين في تناول مدلول لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾.
2. استقراء الأقوال التفسيرية وتحليل مناهج المفسرين في عرضها وبيان أدلتها.
3. ترجيح المعنى الأوفق للسياق القرآني وفق قواعد اللغة وأصول التفسير.

3.1 حدود البحث:

(2) الحداد، يوسف درة، الإنجيل في القرآن، لبنان: منشورات المكتبة البولسية، ط3، 1993م، ص328؛ وينظر كذلك إلى اقتراح القول بموت المسيح ﷺ بعقيدة الصلب والفداء في نصوص العهد الجديد، منها: إنجيل يوحنا (3: 16)، وإنجيل متى (20: 28).

يقتصر هذا البحث على دراسة اتجاهات المفسرين في بيان مدلول لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: 55]، دراسة تفسيرية مقارنة، من خلال تتبع الأقوال الواردة في التفاسير المركزية وتحليلها؛ للوصول إلى الرأي الراجح في ضوء اللغة والسياق القرآني، ولا يتناول البحث قضية رفع عيسى عليه السلام ونزوله آخر الزمان؛ لما تستلزمه من بحثٍ عقدي وحديثي مستقل.

4.1 الدراسات السابقة:

لم يتوافر بحسب الاطلاع بحثٌ مستقلٌ يتناول لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ دراسةً تفسيرية مقارنة وفق المنهج المعتمد في هذا البحث، وإن ورد تناوله ضمن سياقات أوسع، من أبرزها:

1- سناء أبو صعيلىك، "التفسير المقارن لآيات من سورتي آل عمران والنساء"، رسالة دكتوراه، 2012م، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن؛ وتناولت اللفظ ضمن ثمانية وعشرين موضعاً، لكنها اقتصرت على ثلاثة أقوال، دون تحليل نقدي لمناهج الترجيح، مع إغفال معانٍ مؤثرة في فهم الآية.

2- حمود سلامة، "المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: ألقابه ووفاته: جمع ودراسة لشبهات النصارى على القرآن الكريم"، ع94، 2013م، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت؛ وتناول الباحث ألقاب المسيح عيسى عليه السلام: كلمة الله، والروح، والمسيح، وناقش معتقد النصارى فيها، وأدلتهم من القرآن الكريم، وهي دراسة ذات طابع جدلي ركزت على ردّ شبهات النصارى، وتناولت مسألة الوفاة والرفع من منظور عقدي، لا تفسير مقارن.

3- العمري: عبد الهادي، "قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾: دراسة عقديّة"، ع133، 2021م، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، تناول فيها الباحث المسألة من منظورٍ عقديٍّ محض، واشتملت دراسته على ثلاثة مباحث؛ خصّص الأول منها، في نحو صفحتين فقط، لعرض معاني وفاة عيسى عليه السلام عند أهل السنة والجماعة، مقتصرًا على ثلاثة معانٍ، ثم ناقش في الثاني أدلة حياته، وفي الثالث الردّ على القائلين بموته في الدنيا، وانصبَّ جهدُ الدراسة على إثبات معتقد أهل السنة والجماعة في حياة عيسى عليه السلام ورفع ونزوله آخر الزمان، مع ردّ القول بوقوع الوفاة الحقيقية ورفع الروح فحسب، دون استيعاب الاتجاهات التفسيرية المختلفة أو تحليل مناهجها وأسس ترجيحها، مما جعلها أقرب إلى الطابع الجدلي الدفاعي منها إلى الدراسة التفسيرية التحليلية.

وخلاصة القول إن الدراسات السابقة لم تُحط بالأقوال والاتجاهات التفسيرية كافة، فجاء تحليلها قاصراً عن تمثيل البنية التفسيرية للفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، بينما يعالج هذا البحث ذلك بمنهج تفسيري تحليلي مقارن يفضي إلى ترجيح القول الأوفق بأصول التفسير.

5.1 منهج البحث

اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على المناهج الآتية:

أولاً: المنهج الاستقرائي؛ لتتبع أقوال المفسرين في لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، ضمن تفاسير مختارة، تُمثل مدارس التفسير الكبرى، مع مراعاة امتدادها التاريخي من آثار السلف إلى التفاسير المعاصرة، والاقتصار على التفاسير المركزية التي ظهر فيها تعدد واضح في توجيه المعنى.

ثانياً: المنهج التحليلي؛ لدراسة الأقوال؛ لغويًا وسياقيًا، وتصنيف أدلتها، ومناقشة مناهج المفسرين، وأوجه الاتفاق والاختلاف بينهم.

ثالثاً: المنهج التاريخي؛ لتتبع تطوّر الدلالة التفسيرية للفظ عبر العصور، مع الإفادة من المقارنة النقدية بين الاتجاهات التفسيرية؛ للكشف عن معايير الترجيح والقول المختار.

منهجية عرض الأقوال: يبدأ البحث ببيان الاتجاه التفسيري الرئيس، ثم إيراد الأقوال الداخلة تحته مع توثيق نسبتها متى أمكن، وتحديد أقدم من ذكرها في كتب التفسير المعتمدة، ثم عرض مواقف المفسرين منها ترجيحاً أو تضعيفاً إن وُجد، مع بيان مستنداتها اللغوية والسياقية والروائية.

1.2 معنى (التوفي) لغةً.

تتعدد دلالات لفظ (التوفي) تبعاً لما يُضاف إليه؛ فيقال: توفي الله فلاناً إذا قبض روحه، وتَوَفِّيْتُ المال واستوفيته إذا أخذته كاملاً، وتَوَفَّيْتُ عدد القوم إذا أحصيتهم جميعاً، وتُوفي النائم هو استيفاء وقت عقله وتمييزه حتى نام⁽³⁾، وترجع هذه الاستعمالات جميعاً إلى أصل لغوي واحد؛ هو "الإكمال والإتمام"، كما قرره ابن فارس (ت: 395هـ) بقوله: "(وَفِي) الْوَأُو وَالْفَاءُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى إِكْمَالٍ وَإِتْمَامٍ"⁽⁴⁾.

(3) الأزهرى، محمد بن أحمد، تحذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001، ج15، ص419؛ زين الدين الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت: المكتبة العصرية، صيدا: الدار النموذجية، ط5، 1420هـ، ص343؛ ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ، ج15، ص400.

(4) ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م، ج6، ص129.

ويدعم هذا الأصل استعمال الجذر في الشعر الجاهلي للدلالة على استيفاء المدة، كقول الخرنق بنت بدر البكرية (ت: نحو 50 ق.هـ) في رثاء أخيها⁽⁵⁾:

عددنا له خمسًا وعشرين حجة فلما توافها استوى سيدًا ضخمًا

وردت مشتقات الجذر (وفي) في القرآن الكريم في أكثر من ستين موضعًا، بصيغ متعددة، منها: وفي، تُوفِّي، توفاهم، أوفوا، يستوفون⁽⁶⁾، أما استعمال معنى "التوفي" نفسه في القرآن الكريم، فقد جاء على ثلاثة أوجه⁽⁷⁾: الأول: الإنامة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: 60]، والثاني: الرفع إلى السماء، رفعًا حقيقيًا أو رفعًا منزلة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: 55]، والثالث: قبض الروح، ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل: 28]، ويؤكد هذا الجمع الدلالي ما ورد عن الحسن البصري (ت: 110هـ): "الوفاة في كتاب الله على ثلاثة أوجه: وفاة الموت وذلك قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42]، يعني: وجعل نقصان أجلها، ووفاة النوم، وذلك قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: 60]، يعني: ينيمكم، ووفاة بالرفع كقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران: 55]"⁽⁸⁾.

وبناءً على ما سبق، يتبين أن معنى "الوفاة" أعمُّ من معنى "الموت"، وأن لفظ "التوفي" قابلٌ لاتساع الدلالة متى ساعد السياق على ذلك، وقد أشار ابن قتيبة (ت: 276هـ) إلى هذا المعنى بعد أن عدّد وجوه التوفي، فقال: "ثم قيل للموت: وفاة، وتوف"⁽⁹⁾، ويبيّن ابن تيمية (ت: 728هـ) أن

(5) الخرنق بنت بدر بن هفان، ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان، تحقيق: حسين نصار، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1996م، ص19.

(6) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ن: دار الكتب المصرية، 1364هـ، ص756-757.

(7) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عثمان، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2007م، ص151؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1984م، ص214.

(8) الفلعلبي، أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م، ج4، ص129، وقد أورده بلا سند، ولم أقف على إسناد له عن الحسن، لكنه مشهور في كتب التفسير، ويُذكر من باب تقرير المعنى اللغوي والتفسيري للفظ.

(9) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، مصر: دار الكتب العلمية، 1398هـ، ص24.

"لَفْظُ التَّوْفِي فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مَعْنَاهُ: الْإِسْتِيفَاءُ وَالْقَبْضُ، وَذَلِكَ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ: أَحَدُهَا: تَوْفِي النَّوْمِ، وَالثَّانِي: تَوْفِي الْمَوْتِ، وَالثَّلَاثُ: تَوْفِي الرُّوحِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا"⁽¹⁰⁾.

ويؤكد ابن الأثير (ت: 606هـ) في غريب الحديث أن الأصل اللغوي للمادة يدور على التمام والكمال، فيقول: "وَفِي الشَّيْءِ، وَوَفَى، إِذَا تَمَّ وَكُمُلَ، ...، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ»⁽¹¹⁾ أَيْ: أَتَمَّهَا، ...، وَاسْتَوْفَيْتَ حَقِّي: أَخَذْتَهُ تَامًا"⁽¹²⁾.

ومن مجموع هذه الدلالات يتبين أن جذر (وفى) ومشتقاته لا يختص بالموت، بل يدور على معنى الاستيفاء والتمام، وهو ما يفسر سعة الدلالة في لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، ويفتح المجال لاختلاف المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: 55].

2.2 مورد الكلمة القرآنية ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾.

ورد لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَرَأْنِي فَاعْبُدْ إِنِّي جَاعِلُكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [آل عمران: 45].

ونظيره قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: 117]، ولا يُفهم هذان الموضعان بمعزلٍ عن النسق القرآني العام لاستعمالات الجذر (وفى)، ولا عن الآيات الدالة على نفي قتل عيسى وصلبه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: 157]، وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: 159].

(10) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، السعودية: دار العاصمة، ط2، 1419هـ، ج4، ص38.

(11) أخرجه البخاري في صحيحه في أثناء حديث طويل، ج3، ص193، رقم (2731).

(12) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، 1979م، ج5، ص211.

وسورة آل عمران، ثالث سور المصحف، ومدنية بالإجماع⁽¹³⁾، وعدد آياتها مئتان⁽¹⁴⁾، وسُميت باسم آل عمران لورود ذكرهم وبيان فضائلهم فيها، وتمتاز السورة بذكر أحداثٍ تتعلق بعيسى عليه السلام لم ترد في غيرها، ومن أبرز أسباب نزولها مجادلة وفد نصارى نجران للنبي صلى الله عليه وسلم في حقيقة عيسى، وادعائهم ألوهيته⁽¹⁵⁾، حيث نزل صدر السورة إلى الآية الثالثة والثمانين في هذا السياق، وذلك في العام التاسع للهجرة⁽¹⁶⁾.

وعالجت السورة الشبهات العقديّة لأهل الكتاب، وأقامت الحجج على بطلانها، فجاءت الآية موضع البحث تقريرًا لموقف العقيدة الإسلامية من عيسى عليه السلام.

2.3 مناسبة آيتها للسياق.

تأتي الآية في سياق بيان مكر اليهود بعيسى عليه السلام، ومحاولتهم قتله، فبيّنت عناية الله تعالى بنبية، وإحباط كيدهم، فجاء قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ تقريرًا لحكم الله في شأن عيسى عليه السلام، وإعلامًا بنجاته من القتل والصلب، كما تضمنت الآية وعدًا يجعل أتباعه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، بالظهور بالحجة، أو بالغلبة والتمكين، أو برفعة المنزلة في الآخرة⁽¹⁷⁾، وبذلك جاءت الآية بشارَةً لعيسى عليه السلام، وتقديرًا لحكم الله تعالى في الدنيا والآخرة.

3. الاتجاهات التفسيرية في مدلول لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾

يمكن تلخيص الاتجاهات التفسيرية في أربعة اتجاهات:

(13) الزركشي، محمد بن بھادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية عيسى الخلي، ط1، 1957م، ج1، ص194؛ السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ج1، ص235.

(14) ينظر: أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد، البيان في عدّ آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري، الكويت: مركز المخطوطات، ط1، 1414هـ، ص143.

(15) ينظر: الآثار الواردة في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ج5، ص171-172؛ الواحدي، علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق: كمال بسيوني، دار الكتب العلمية، 1411هـ، ص99، رقم (190)، ص106، رقم (206 - 207)؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح البخاري، رقم كنبه وأبوابه وأحاديثه: محمد عبد الباقي، مصر: المكتبة السلفية، 1380هـ، ج8، ص94-95، رقم (4380)؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، ط2، 1999م، ج2، ص57.

(16) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص5.

(17) المازريدي، محمد بن محمد، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005م، ج2، ص385.

- 1- القول بالموت الطبيعي مع التقديم والتأخير في الآية.
- 2- القول بترتيب الألفاظ والتأويل على وجه من وجوه المعنى اللغوي لـ"التوفي".
- 3- اتجاه القول بالمجاز في معنى "التوفي".
- 4- اتجاه التوقف في تأويل الآية.

3.1 اتجاه القول بالموت الطبيعي مع التقديم والتأخير في الآية.

ويشمل معنىً واحدًا هو: رافعك إلىّ أولاً، ثم متوفيك في آخر الزمان. نُسب هذا القول إلى ابن عباس (ت: 68هـ) من طريق الضحاك⁽¹⁸⁾، وإلى قتادة (ت: 117هـ)⁽¹⁹⁾.

وذكر هذا القول عددٌ من المفسرين، ويبدو -بحسب أقدم ما وقفْتُ عليه من التفاسير- أن مقاتلاً (ت: 150هـ) هو أول من ذكره⁽²⁰⁾.

وضَعَفَه الرازي (ت: 606هـ)، حيث ذكر ثمانية أقوال في تفسير لفظ ﴿مُتَوَفِّيك﴾ كَلَّمَا مبنية على ظاهر ترتيب الآية دون الحاجة إلى دعوى التقديم والتأخير، مؤكداً أن حمل اللفظ على ظاهره يغني عن هذا التكلف التأويلي⁽²¹⁾.

(18) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق؛ ينظر: ابن عساکر، علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م، ج 47، ص 470؛ ولم أقف على إسناد مرفوع معتبر، وما يُذكر من طريق الضحاك عنه منقطع.

(19) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره؛ ينظر: ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، 1419هـ، ج2، ص661، رقم (3583).

(20) مقاتل، مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، تحقيق: عبد الله شحاته، بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1423هـ، ج1، ص279؛ ومن المفسرين الذين أشاروا إلى هذا القول: الفراء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، ج1، ص219؛ الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مكة المكرمة: دار التريية والتراث، ج6، ص458؛ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص661، رقم (3583)؛ المازيني، تأويلات أهل السنة، ج2، ص382؛ السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون. لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، ج1، ص218؛ مكّي، مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية، جامعة الشارقة، جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 2008م، ج2، ص1033؛ الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ، ج1، ص367؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص46.

(21) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ، ج8، ص238.

والمعنى قائم على اعتبار وقوع تقديم وتأخير في نظم الآية، فلفظ ﴿وَرَأْفِعُكَ﴾ مقدّم معني، ولفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ مؤخّر، على أن الواو لمطلق الجمع لا للترتيب الزمني، فالوفاة هنا وفاة حقيقية، تقع بعد الرفع، ويكون التقدير: "إني رافعك إليّ من الدنيا، ومتوفيك حين تنزل من السماء زمن الدجال"⁽²²⁾، ومثّل القرطبي (ت: 671هـ)، عند تفسيره لهذه الآية، على وقوع التقديم والتأخير في القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: 129]، والتقدير: "ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً"⁽²³⁾، وقال الألوسي (ت: 1270هـ): "وهذا أحد تأويلات اقتضاها مخالفة ظاهر الآية؛ للمشهور المصريح به في الآية الأخرى، وفي قوله ﷺ: «إن عيسى لم يمّث، وإنه راجع إليك قبل يوم القيامة»"⁽²⁴⁾، ويُستفاد من كلامه أن أنصار هذا القول لم يلتزموا بظاهر ترتيب الألفاظ في الآية؛ جمعاً بين مدلول "التوفي" الحقيقي وبين النصوص الصريحة الدالة على بقاء عيسى ﷺ حياً وعدم وقوع موته إلى آخر الزمان.

2.3 اتجاه القول بترتيب الألفاظ والتأويل على وجه من وجوه المعنى اللغوي لـ"التوفي". ويشمل المعاني الآتية:

1.2.3 المعنى الأول: التوفي بمعنى القبض والتحصيل.

نُسب هذا القول إلى كعب الأحمبار (ت: 32هـ)، قال: "وذلك يصدق حديث رسول الله ﷺ: «كيف تهلك أمة أنا في أولها، وعيسى في آخرها»"⁽²⁵⁾، والحسن (ت: 110هـ)، ومحمد بن جعفر بن الزبير (ت: 110هـ إلى 120هـ)، ومطر الورّاق (ت: 129هـ)، وابن جريج (ت:

(22) مقاتل، تفسير مقاتل، ج1، ص279.

(23) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، 3، 1964م، ج4، ص99.

(24) الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ، ج2، ص171-172؛ وأخرجه الطبري عن الحسن مرسلًا إلى النبي ﷺ من قوله لليهود: ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص455.

(25) أخرجه الطبري في تفسيره، ج6، ص457، رقم (7137)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق، عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعن ابن عباس، ج47، ص521، 522، وقد ذكرهما الألباني في السلسلة الضعيفة، وذكر أن في إسناد حديث عبد الله بن عمرو بن العاص كذاب، ووصف إسناد حديث ابن عباس بالنكارة: ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، الأحاديث الضعيفة والموضوعة، الرياض: مكتبة المعارف، ط1، 1412هـ، ج5، ص371، رقم (2349).

150هـ)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت: 182هـ)، الذي استدل بقوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهَدِ وَكَهَلًا﴾ [آل عمران: 46]، أي أن عيسى عليه السلام رُفِعَ إلى السماء قبل أن يكون كهلاً، وسينزل كهلاً⁽²⁶⁾.

وذكر هذا القول عددًا من المفسرين، ويبدو -بحسب أقدم ما وقفتُ عليه من التفاسير- أن الفراء (ت: 207هـ) هو أول من أورده⁽²⁷⁾، ولعل السبب في أسبقيته لذكره كونه من أئمة النحويين اللغويين، فاتسع نظره اللغوي في دلالة الجذر، فاستند إلى الآثار وما تقتضيه العربية في تقرير هذا الوجه⁽²⁸⁾.

ورجَّحه جمعٌ من المفسرين، من أبرزهم: الطبري (ت: 310هـ)، مستندًا إلى تواتر الأخبار في نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، ثم موته ودفنه، ومستندًا بالعقل على أن الله تعالى لا يجمع عليه ميتتين، ورجَّحه كذلك ابن عبد البر (ت: 463هـ)، والبغوي (ت: 516هـ)، وابن عطية (ت: 542هـ)، والقرطبي، وأبو السعود (ت: 982هـ)، والشوكاني (ت: 1250هـ)، والألوسي الذي عرض تسعة أقوال في تفسير اللفظ، ثم قوّى ما ذهب إليه الطبري⁽²⁹⁾.

(26) أخرج أقوالهم الطبري في تفسيره؛ ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص455-457.

(27) الفراء، معاني القرآن، ج1، ص219.

(28) تنظر ترجمته: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985م، ج10، ص118-121.

(29) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص458-460؛ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، جهود الحفاظ ابن عبد البر في التفسير، جمع وتوثيق: محمد الصوفي، بيروت: دار ابن حزم، ط1، 2011م، ص158؛ البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1417هـ، ج3، ص122؛ ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ، ج2، ص263؛ القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط3، 1964م، ج4، ص100؛ أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج2، ص43؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ، ج1، ص395؛ الألوسي، روح المعاني، ج2، ص172.

والمعنى قائم على أن الآية لا تقتضي تقديمًا ولا تأخيرًا، بل إن "التوفي" هنا يعني أن الله تعالى قبض عيسى عليه السلام ورفعَه إليه حيًّا، كما يُقال في اللغة: توفيتُ مالي من فلان، أي أخذته كاملاً غير منقوص (30).

3.2.2.2 المعنى الثاني: التوفي بمعنى وفاة النوم.

نُسب هذا القول إلى الربيع (ت: 139هـ)، قال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني وفاة المنام: رفعه الله في منامه (31)، وذكر هذا القول عددًا من المفسرين، ويبدو -بحسب أقدم ما وقفنا عليه من التفاسير- أن الطبري (ت: 310هـ) هو أول من أورده (32)، ووصفه ابن كثير (ت: 774هـ) والشوكاني (ت: 1250هـ) بأنه "قول الأكثرين" (33).

والمعنى قائم على أن عيسى عليه السلام رُفِعَ إلى السماء وهو نائم، حتى لا يصيبه خوفٌ أو أذى، ثم استيقظ في السماء، ويستند هذا القول (34) إلى دلالة قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: 42]؛ حيث أُطلق "التوفي" على النوم، كما يستند إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم عند الاستيقاظ من النوم: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (35).

3.2.2.3 المعنى الثالث: التوفي بمعنى وفاة الموت المؤقت.

نُسب إلى ابن عباس قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: إني مميتك"، ونُقل عن وهب بن منبه قوله: "إن الله توفي عيسى عليه السلام ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه إليه" (36).

(30) الفراء، معاني القرآن، ج 1، ص 219.

(31) أخرجه الطبري في تفسيره؛ ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 6، ص 455.

(32) أخرجه الطبري في تفسيره؛ المرجع السابق، ج 6، ص 455، ومن المفسرين الذين أشاروا إلى هذا القول: مكي، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج 2، ص 1032؛ الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 1، ص 367؛ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 1، ص 444؛ أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، 1420هـ، ج 3، ص 176؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 47؛ الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 395.

(33) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 47؛ الشوكاني، فتح القدير، ج 1، ص 395.

(34) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج 3، ص 176؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 47.

(35) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام، ج 8، ص 69، رقم (6312).

(36) أخرجه الطبري في تفسيره، ج 6، ص 457، وإسناد هذه الآثار ضعيف؛ ينظر: العقل، عقل بن عبد الكرم، الآثار الواردة عن السلف في النصارى في تفسير الطبري: جمعًا وترتيبًا ودراسة عقديّة، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 2004م، ص 502.

وذكر هذا القول عددًا من المفسرين، ويبدو -بحسب أقدم ما وقفنا عليه من التفاسير- أن الطبري هو أول من أورده⁽³⁷⁾، ومن أبرز من ضعّفه: القرطبي، والشوكاني، والألوسي؛ فوصفوه بالبعد والضعف⁽³⁸⁾.

ويفيد هذا القول إن الله تعالى توفى عيسى عليه السلام وفاةً حقيقية مؤقتة، حيث اختلفوا في تحديد مدتها، ورفعها فيها، ثم أحياه الله عنده في السماء، وقد علل بعضهم، كالماتريدي، هذا الوجه بأن التوفي يُظهر بشرية عيسى عليه السلام، وينفي عنه دعوى الألوهية التي غلا فيها النصارى⁽³⁹⁾.

4.2.3 المعنى الرابع: التوفي بمعنى استيفاء الأجل.

ذكر هذا القول عددًا من المفسرين، ويبدو -بحسب أقدم ما وقفنا عليه من التفاسير- أن الزمخشري (ت: 538هـ) هو أول من أورده⁽⁴⁰⁾، ووصفه الرازي بأنه "تأويل حسن"⁽⁴¹⁾، غير أن البقاعي (ت: 885هـ) يرى أن قول الزمخشري نابغ من أصوله الاعتزالية، فيقول: "وأما قول الزمخشري: أي مستوفى أجلك،... فلا ينبغي الاعتراض به؛ لأنه مبني على مذهب الاعتزال، من أن القاتل قطع أجل المقتول المكتوب"⁽⁴²⁾، إلا أنني أرى أنه قد يُفهم كلام الزمخشري على أنه يريد استيفاء الأجل في اللغة، أي بلوغ العمر المقدر، من غير أن يُلزم ذلك بمسألة قطع الأجل أو عدمه، لا سيما أنني لم أجد -فيما وقفنا عليه من التفاسير- من تابع البقاعي.

(37) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص457، ومن المفسرين الذين أشاروا إلى هذا القول: ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص661، رقم (3580، 3581)؛ الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج2، ص383؛ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص444؛ الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج8، ص237؛ الألوسي، روح المعاني، ج2، ص172.

(38) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص101؛ الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص395؛ الألوسي، روح المعاني، ج2، ص171-172.

(39) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج2، ص383-384.

(40) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج1، ص366، ومن المفسرين الذين أشاروا إلى هذا القول: أبو حيان، البحر المحييط في التفسير، ج3، ص177؛ الألوسي، روح المعاني، ج2، ص172.

(41) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج8، ص237.

(42) البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ج4، ص420-421، ومسألة أجل المقتول مسألة خلافية بين الأشاعرة والمعتزلة، يقول القاضي عبد الجبار: "من مات حتف أنفه مات بأجله، وكذا من قُتل فقد مات بأجله أيضًا،... وإنما الخلاف في المقتول لو لم يقتل كيف يكون حاله في الحياة والموت؟"؛ القاضي عبد الجبار، أحمد، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مصر: مكتبة وهبه، ط3، 1993م، ص782.

والمعنى قائم على أن المراد ب﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أن الله تعالى مستوفٍ أجل عيسى عليه السلام وامتّم عمره المقدّر له، بحيث لا يُمكن اليهود من قتله، بل يرفعه إلى السماء سالماً حتى يبلغ أجله المكتوب⁽⁴³⁾، فاللفظ كنايةً عن عصمته من كيد اليهود ومكرهم⁽⁴⁴⁾.

3.2.5 المعنى الخامس: التوفي بمعنى أخذ الشيء وافيًا.

ذكر هذا القول عددٌ من المفسرين، ويبدو -بحسب أقدم ما وقفْتُ عليه من التفاسير- أن الرازي هو أول من أورده⁽⁴⁵⁾.

والمعنى قائم على أن المراد ب﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أخذ عيسى عليه السلام كاملاً، روحًا وجسدًا، ورفعهُ إلى السماء بتمامه، دفعًا لتوهم أنه رُفع بروحه فقط دون جسده⁽⁴⁶⁾.

3.2.6 المعنى السادس: الوفاة الحقيقية الأبدية تليها حياة كرامة عند الله تعالى.

اتجه عددٌ من المفسرين المعاصرين إلى حمل لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ على معناه الظاهر في العربية والقرآن، وهو الوفاة الحقيقية الأبدية، مؤكدين أن الغالب في مادة "توفي" هو قبض الروح قبضًا تامًا، وأن صرفه عن هذا الظاهر إلى النوم أو المجاز لا يكون إلا بدليل قوي، ومن أبرز هؤلاء: رشيد رضا (ت: 1354هـ) نقلًا عن أستاذه محمد عبده (ت: 1323هـ)، والمراعي (ت: 1371هـ)، وابن عاشور (ت: 1393هـ)، وأبو زهرة (ت: 1394هـ)، غير أن لكل منهم تفصيلًا في المسألة: - رأى رشيد رضا أن القارئ البعيد عن الروايات لا يفهم من الآية إلا الوفاة الحقيقية، وفسرها: إني مميتك، وجاعلك بعد الموت في مكان رفيع عندي، واستدل بآيات حياة الشهداء ورفع إدريس عليه السلام، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]، وانتقد جمهور المفسرين الذين أعرضوا عن هذا الظاهر، وحملوه على الرفع الجسدي، استنادًا على الروايات، ثم نقل عن محمد عبده تقسيم الاتجاهات إلى:

(43) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج 1، ص 366.

(44) الشوكاني، فتح القدير ج 1، ص 395.

(45) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج 8، ص 237، ومن المفسرين الذين أشاروا إلى هذا القول: أبو حيان، البحر

المحيط في التفسير، ج 3، ص 177؛ الألوسي، روح المعاني، ج 2، ص 172.

(46) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج 8، ص 237.

(أ) المشهور: القول بالرفع الجسدي والنزول آخر الزمان، ثم يتوفاه الله بعد ذلك، والدليل أن الواو في قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ لا تفيد الترتيب، وردَّ رشيد رضا القول بأن العدول عن الترتيب لا يكون إلا لنكتة، ولا نكتة هنا؛ فالرفع هو الأهم في السياق.

(ب) القول بالإماتة العادية والرفع الروحي، وهو الذي مال إليه رشيد رضا. وفي موقفه من أحاديث النزول، اعتبرها آحادًا لا تثبت بما العقيدة، وأجاز تأويلها رمزياً، فجعل نزول عيسى رمزاً لغلبة روحه وتعاليمه، والدجال رمزاً للأباطيل التي تنزل بظهور الحق. وإن كان قد اعترف بأن ظاهر الأحاديث يخالف هذا التأويل، لكن برّر ذلك بأن كثيراً منها نُقل بالمعنى⁽⁴⁷⁾. ويمثل رأي رشيد رضا محاولةً إصلاحيةً للتوفيق بين الظاهر اللغوي والمقاصد العقديّة.

– أما المراغي فقد استشهد بما استشهد به رشيد رضا، في توافقٍ مع الاتجاه العقليّ الإصلاحي الذي ينتمي إليه⁽⁴⁸⁾.

– توسع ابن عاشور في التحليل اللغوي والسياقي، فذهب إلى أن أصل "التوفي" هو قبض الروح، وأن استعماله في النوم إنما هو مجاز عرفي، ولذلك رفض حمل الآية على النوم؛ لأنه لا معنى لذكره في مقام الرفع، قائلاً: "فالقول بأنها بمعنى الرفع عن هذا العالم إيجاد معنى جديد للوفاة في اللغة بدون حجة"⁽⁴⁹⁾، واستشهد بقوله تعالى: ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ [المائدة: 117]، دليلاً على الوفاة الحقيقية التي حالت بين عيسى ومعرفة أحوال قومه بعده.

ثم ناقش الروايات المخالفة، فذكر أقوال من أثبت الرفع الجسدي مع الحياة، ومن قال بموته ثم إحيائه، ومن قال بموته ساعاتٍ ثم رفعه، ورأى أن قول ابن عباس رضي الله عنه – الذي أثبت الموت دون تفصيل – أقرب إلى الوسط.

(47) رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ج3، ص260-261.

(48) المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1946م ج3، ص170.

(49) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد، التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م، ج3، ص258.

وتناول أحاديث النزول بمنهج نقدي، فرجح أنها تدل على حياة خاصة لعيسى عليه السلام أرقى من حياة سائر الأنبياء، وربط ذلك بحديث مسلم: «فبيعت الله عيسى بن مريم...»⁽⁵⁰⁾، معتبراً أن لفظ "البعث" يدل على إحياءٍ مخصوص.

ورأى أن القول بالتقديم والتأخير لا دليل عليه، لأنه لا دليل صريح على موت عيسى عليه السلام في آخر الدهر إلا رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يُتوفى فيصلي عليه المسلمون»⁽⁵¹⁾، وأن جملة: "ثم يُتوفى فيصلي عليه المسلمون" مدرجة من أبي هريرة؛ لأنه "لم يروه غيره ممن رووا حديث نزول عيسى، وهم جمع من الصحابة، والروايات مختلفة وغير صريحة"، وأن القرآن لم يذكر نزوله، مما يعني أنه ليس من مقامات نبوته الواردة بنص قطعي⁽⁵²⁾.

وعلى الرغم من اتفاق رشيد رضا وابن عاشور على حمل "التوفي" على معناه الظاهر وهو الإمامة، فإن منهج ابن عاشور بدا أرسخ وأدق من جهتين: أولاً: التحليل اللغوي وربط الدلالة بسياقات الاستعمال القرآني، ثانياً: تقويمه للأحاديث الواردة في نزول عيسى؛ إذ تعامل معها بمنهج نقدي متزن يميز بين دلالة القرآن القطعية واحتمالات الروايات، دون الاضطرار إلى التأويل الرمزي الذي مال إليه رشيد رضا.

- انطلق أبو زهرة من ظاهر الآية أيضاً⁽⁵³⁾، فجعل ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بمعنى الوفاة الحقيقية، والرفع رفع مكانة وروح، لكنه نبه إلى أن ظاهر آية النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ... بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: 157-158]، جاء الرفع فيها مقابلاً للقتل والصلب، مما قد يفهم منه الرفع الجسدي، ويؤيده ظاهر الأحاديث الدالة على نزوله آخر الزمان، كحديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: «وَاللَّهِ! لَيُنزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا...»⁽⁵⁴⁾، لذلك رأى أن المسألة تحتاج إلى تأويل للتوفيق، تفصيله كالآتي:

(50) أخرجه مسلم في صحيحه، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ج4، ص2258-2259، رقم (2940).
(51) أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ج6، ص378، رقم (4324)، وقال المحقق: "حديث صحيح دون قوله: "فيصلي عليه المسلمون"، وهذا إسناد منقطع، ومع ذلك صححه الحافظ بن حجر في (الفتح)، وابن كثير في (النهاية)".

(52) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص258-259.

(53) أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج3، ص1241-1245.

(54) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، ج1، ص136، رقم (155).

1- اتجاه أقل عدداً يثبت الوفاة الحقيقية ويرى الرفع رفعاً للروح، ويرى أن الأحاديث لا تتعارض مع ذلك لأن الله قادر على إعادة الروح للجسد متى شاء، وقد قيّد أبو زهرة هذا الفهم بافتراض صحة الأحاديث، مع التنبيه إلى أنها أخبار آحاد لا يُبنى عليها اعتقاد قطعي، وزاد على ذلك إشارته إلى احتمال دسّ بعض الروايات من قبيل النصارى، قائلاً: "ولقد كان في عصر التابعين يوحنا الدمشقي في بلاط بني أمية يؤلف الجماعات السرية التي تدس الآراء والأفكار التي من شأنها أن تفسد عقائد المسلمين" (55).

2- الاتجاه الأكثر الذي جعل ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بمعنى الأخذ التام، أو النوم، أو مبيتاً على التقديم والتأخير، وانتقد أبو زهرة هذه التأويلات؛ مبيّناً أن الاستعمال القرآني خصّ "التوفي" في مواضع كثيرة بالموت، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42]، و﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: 11].

ومما سبق يظهر أن أبا زهرة أضاف إلى تحليلات من سبقه نقدًا للروايات، والتشكيك في بعض أسانيدھا.

3.3 اتجاه القول بالمجاز في معنى "التوفي". ويشمل المعاني الآتية:

1.3.3 المعنى الأول: التوفي بمعنى قبول العمل والجزاء عليه.

ذكر هذا القول عددٌ من المفسرين، ويبدو -بحسب أقدم ما وقفْتُ عليه من التفاسير- أن مكّي ابن أبي طالب (ت: 437هـ) (56) أول من أورده، وضعّفه بعض المفسرين، منهم: ابن عطية (57)، وأبو حيان (ت: 745هـ) (58)، والألوسي (59).

والمعنى قائم على أن قوله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ يتضمن بشارة لعيسى عليه السلام بقبول طاعته، ورفع عمله إلى الله تعالى، استناداً إلى قوله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

(55) أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، ج3، ص1244-1245.

(56) مكّي، الهداية إلى بلوغ النهاية، ج2، ص1033؛ ومن المفسرين الذين أشاروا إلى هذا القول: الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج8، ص238؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص258.

(57) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص444.

(58) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج3، ص177.

(59) الألوسي، روح المعاني، ج2، ص172.

[فاطر: 10]، فيفيد أن الله تعالى لن يضيع ما لاقاه عيسى عليه السلام من تعنت المكذبين، بل سيجازيه عليه الجزاء الأوفى⁽⁶⁰⁾.

2.3.3 المعنى الثاني: التوفي بمعنى موت الشهوات.

نُسب هذا القول إلى أبي بكر الواسطي (ت: بعد 410هـ)⁽⁶¹⁾، وذكر هذا القول عددًا من المفسرين، ويبدو -بحسب أقدم ما وقفْتُ عليه من التفاسير- أن الرازي هو أول من أورده نقلًا عن أبي بكر الواسطي⁽⁶²⁾.

والمعنى قائم على أن المراد بـ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ إماتة الشهوات التي تحول بين النفس والترقي إلى عالم الملكوت، فحين رُفِعَ عيسى عليه السلام إلى السماء، حيث مقام الملائكة، ارتقت نفسه وتطهرت من الأخلاق الذميمة، فصار شبيهاً بهم في صفاء الجوهر⁽⁶³⁾.

3.3.3 المعنى الثالث: التوفي بمعنى جعله كالمُتَوَفَّى مجازًا.

ذكر هذا القول عددًا من المفسرين، ويبدو -بحسب أقدم ما وقفْتُ عليه من التفاسير- أن الرازي هو أول من أورده⁽⁶⁴⁾، ورَّحَّحه القاسمي، قائلًا: "وهذا الوجه ظاهر جدًّا، وله نظائر في الكتاب العزيز"⁽⁶⁵⁾.

(60) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج8، ص238.

(61) هو: محمد بن موسى، وأصله من فرغانة، ويعرف بـ"ابن الفرغاني" وهو من علماء مشايخ القوم لم يتكلم أحد في أصول التصوف مثل ما تكلم هو وكان عالماً بالأصول وعلوم الظاهر؛ تنظر ترجمته: أبو عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م، ص232-235، رقم (52).

(62) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج8، ص237، ومن المفسرين الذين أشاروا إلى هذا القول: البيضاوي، عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ، ج2، ص19؛ أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج3، ص177.

(63) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج8، ص237.

(64) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج8، ص237، ومن المفسرين الذين أشاروا إلى هذا القول: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج3، ص176؛ الألوسي، روح المعاني، ج2، ص172.

(65) القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ، ج2، ص324، ولعل من النظائر التي يقصدها القاسمي قوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: 122]، حيث استعمل "الميت" بمعنى منقطع الأثر، وهو ما يشبه استعمال ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بمعنى جعله كالمُتَوَفَّى مجازًا.

والمعنى قائمٌ على التشابه بين حالة الرفع وبين حالة المُتَوَقِّفِ، الذي انقطع خبره وأثره في الأرض، وزال تصرفه فيها، فهو من باب المجاز بإطلاق اسم الشيء على ما يشبهه في بعض صفاته⁽⁶⁶⁾.

4.3 التوقف في تعيين وجه التأويل

وهو اتجاه ذهب إليه عددٌ من المفسرين المعاصرين، مثل: السعدي (ت: 1376هـ)، وقطب (ت: 1387هـ)، ودروزة (ت: 1404هـ)، حيث اكتفى السعدي بقوله: "فرع الله عبده ورسوله عيسى إليه، وألقى شبهه على غيره"⁽⁶⁷⁾، دون التعرّض لوجوه التأويل أو مناقشتها، واعتبر قطب أن الآية من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله⁽⁶⁸⁾، ورأى دروزة أن هذه الوقائع غيبية، والأولى الوقوف عند حدود ما ورد دون تخمين⁽⁶⁹⁾.

وهذا الاتجاه ليس مقتصرًا على المفسرين المحدثين، بل له جذور في التراث؛ فقد جعل الرازي أحد الوجوه في تفسير الآية هو التوقف، مقرًا بأن الله سيفعل بعيسى عليه السلام ما أخبر به في الآية، لكن على وجهٍ لم يرد به نقلٌ قاطع يُبين كلفيته⁽⁷⁰⁾.

ويمثل هذا الاتجاه منهجًا تفسيريًا قائمًا على التسليم وتوقيفية باب الغيب، في مقابل اتجاهاتٍ أخرى توسّعت في التأويل التفصيلي، وأرى أن طلب المعنى ما دام مستندًا إلى القواعد اللغوية والسياق، وعلى نحو ما سلكه متقدمو المفسرين، أمرٌ معتبرٌ، كما هو شأن هذه الدراسة، أما إذا لم يتبين للمفسر وجهٌ راجحٌ بين الأقوال، فحينئذ يكون التوقف أولى، وهو ما عبّر عنه الشوكاني بقوله: "فيه السّلامة من التّرجيح، بلا مُرّجِح، ومن الاستدلال بما هو محتمل"⁽⁷¹⁾.

وبذلك يظهر—من خلال الاستقراء—أن دلالات لفظ ﴿مُتَوَقِّفِكَ﴾ دارت حول أربعة اتجاهات تفسيرية رئيسية، انبثقت عنها عشرة أقوال شكلت مجمل ما ورد في التراث التفسيري قديمه وحديثه.

(66) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج3، ص176.

(67) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، ص132.

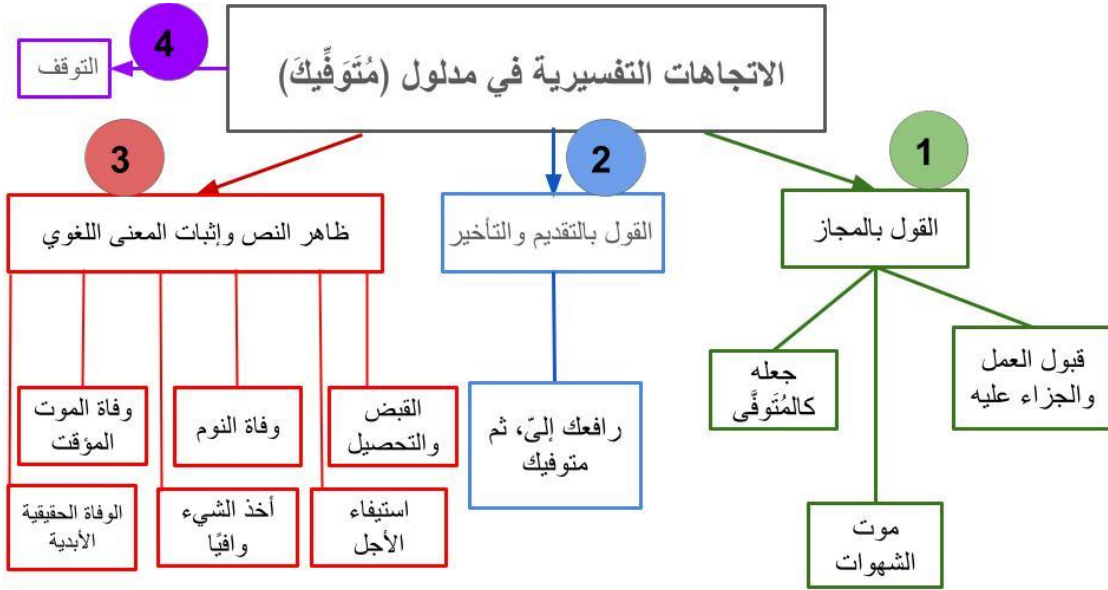
(68) قطب، سيد، في ظلال القرآن، مصر: دار الشروق، ط35، 2005م، ج1، ص403.

(69) دروزة، محمد عزت، التفسير الحديث، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1383هـ، ج7، ص157.

(70) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج8، ص237.

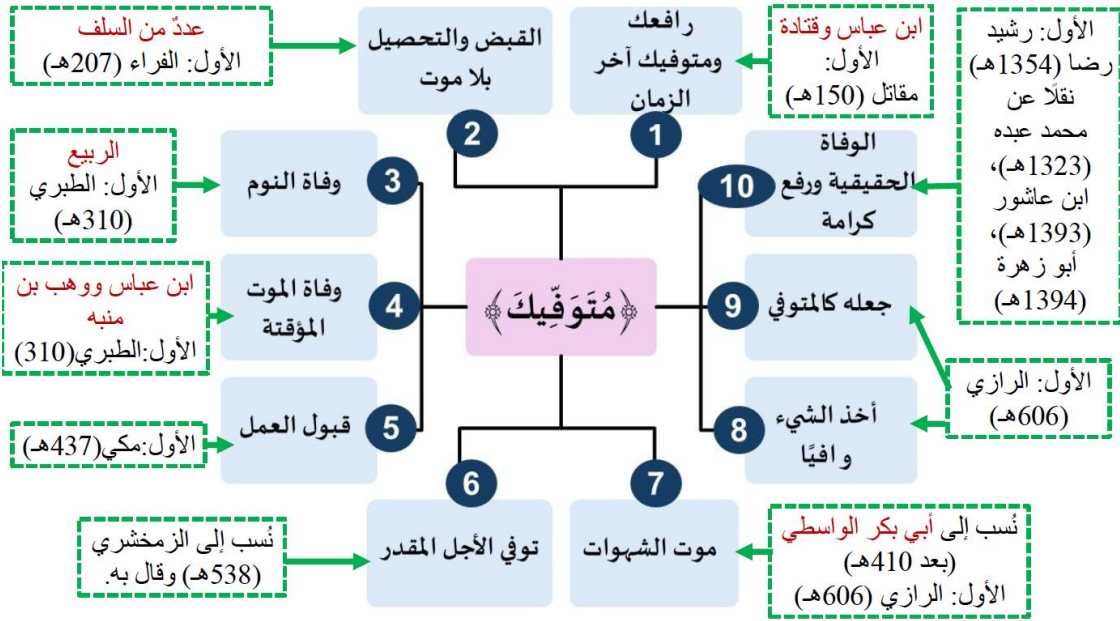
(71) الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص468.

(1) شكل توضيحي للاتجاهات الرئيسية في تفسير ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾



والأقوال في معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ كالاتي: الأول: رافعك إليّ ثم متوفيك في آخر الزمان، والثاني: القبض والتحصيل بلا موت، والثالث: وفاة النوم، والرابع: وفاة الموت المؤقتة، والخامس: قبول العمل، والسادس: توفى الأجل المقدر، والسابع: موت الشهوات، والثامن: أخذ الشيء وأفيًا، والتاسع: جعله كالمُتَوَفِّي مجازًا، والعاشر: الوفاة الحقيقية يعقبها رفع الروح وحياة كرامة عند الله تعالى.

(2) شكل توضيحي للأقوال العشرة والقائلين بها



4. المناقشة والترجيح

1.4 الأقوال المرجوحة وسبب مرجوحيتها.

أرى أن الأقوال المرجوحة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، هي: حمله على: 1- قبول العمل، أو 2- موت الشهوات، أو 3- انقطاع الخبر والأثر، أو 4- الوفاة الحقيقية الأبدية ثم رفع الروح وحياة الكرامة، ويظهر عندي ضعف الأقوال الثلاثة الأولى من وجوه:

1. أنها بعيدة عن ظاهر اللفظ، وعن الاستعمال القرآني الغالب لمادة "التوفي"، والأصل حمل اللفظ على معناه المعهود ما لم يَقم دليل معتبر يصرفه عنه⁽⁷²⁾.

2. أن السياق لا يساعد عليها، فإن السياق كما قال عز الدين بن عبد السلام (ت: 660هـ): "مرشدٌ إلى تبين الجملات وترجيح الاحتمالات وتقرير الواضحات وكل ذلك بعرف

(72) قرر ابن تيمية قاعدة مهمة في هذا الباب، فقال: "فإذا كان في وجوب شيء نزاع بين العلماء، ولفظ الشارع قد اطرء في معنى؛ لم يجز أن ينقض الأصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه نزاع بين العلماء". ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ن: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1995م، ج7، ص35.

الإستعمال⁽⁷³⁾، فالمقام مقام بشارة، وطمأنة لعيسى عليه السلام، بإنجائه من مكر أعدائه ورفعته إلى مقام الكرامة⁽⁷⁴⁾، لا مقام تزكية نفس أو كبح شهوة أو قبول عمل، وقد حاول بعض المفسرين، كالمهايمي (ت: 835هـ)، أن يربط بين السياق ومعنى "موت الشهوات" بقوله: "آخذك بكليتك ولا أدع لك شهوة طعام ولا شراب"⁽⁷⁵⁾، لكنه لم يقتصر فقط على معنى "موت الشهوات"، بل ضم إليه معنى "الأخذ التام"، بقوله: "آخذك بكليتك"، مما يكشف عن تكلف في تفسير اللفظ، ولهذا ردّ جمع من المفسرين هذه التأويلات⁽⁷⁶⁾، ونصّ ابن عطية على ضعف حمل "التوفي" على "قبول العمل"، قائلاً: "ووقع في كتاب مكّي عن قوم: أن معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ متقبل عملك، وهذا ضعيف من جهة اللفظ"⁽⁷⁷⁾.

3. أن الأنبياء معصومون مقبولون عند الله تعالى، فلا يحتاج مقام عيسى عليه السلام إلى تقرير معنى هو ثابت له أصلاً، حيث إن "الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف"⁽⁷⁸⁾، وعلى هذا، فإن تفسير التوفي بمعنى "قبول العمل" أو "موت الشهوات" لا يضيف معنى تأسيساً جديداً للآية، "وإذا دارَ اللَّفْظُ بَيْنَ حَمَلَيْهِ عَلَى التَّأْسِيسِ أَوْ التَّأَكِيدِ فَالتَّأْسِيسُ أَوْلَى، لِأَنَّهُ أَكْثَرُ فَائِدَةً"⁽⁷⁹⁾.

4. أن حمل ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ على "موت الشهوات" إنما هو قولٌ منسوبٌ إلى أبي بكر الواسطي، وهو من كبار مشايخ الصوفية، ومن ثمّ غلب على تفسيره للفظ الطابع الإشاري الصوفي، ويشهد لذلك ما نقله الجرجاني (ت 816هـ) في تعريف الموت عند الصوفية بأنه "قمع هوى

(73) ابن عبد السلام، عز الدين، الإمام في بيان أدلة الأحكام، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط1، 1407هـ، ص159.

(74) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج4، ص421.

(75) المهايمي، علي بن أحمد بن إبراهيم، تبصير الرحمن وتيسير المنان، مصر: مطبعة بولاق، 1295هـ، ج1، ص113.

(76) مثاله: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج3، ص177؛ الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج2، ص172.

(77) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص444.

(78) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ن: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، 1995م، ج4، ص319.

(79) الزركشي، محمد بن بھادر، البحر المحیط في أصول الفقه، دار الكتبي، ط1، 1994م، ج2، ص372.

النفس" (80)، حيث توسع التأويل مع انتشار الحركات الصوفية ومدارسها، في القرن الثالث الهجري (81).

5. أن حمل ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ على "انقطاع خبر عيسى عليه السلام وأثره" مخالف لمقصود الآية نفسها، فالقرآن صرح ببقاء ذكره ورفع مقامه، بل ودوام أثر أتباعه، قال تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، بل إن أثره ممتد إلى آخر الزمان، حيث نزوله من أعظم أشرط الساعة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: 61].

وأما القول الأخير، بحمل ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ على الموت الحقيقي الأبدي ثم رفع الروح إلى مقام الكرامة، فهو قول له وجهته اللغوية والسياقية، وذهب إليه بعض المفسرين المعاصرين؛ كرشيد رضا، وابن عاشور، وأبي زهرة، غير أني لا أميل إليه في هذا البحث للأسباب الآتية:

أولاً: أن هذا القول -مع ورود إشارات متفرقة إليه- لم يثبت عن كبار المفسرين المتقدمين، ولم يكن من الأقوال المعتمدة لديهم على اختلاف مدارسهم، فلم يصرح به أصحاب التفسير بالمأثور كالطبري (82) وابن كثير (83)، ولا مفسرو الرأي كالرازي (84) وأبي حيان (85)، ولا التفاسير الاعتزالية كالحاكم الجشمي (ت: 494هـ) (86) والزمخشري (87)، ولا التفاسير الإشارية كالقشيري (ت:

(80) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، *التعريفات*، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 1، ص 235.

(81) التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كردة فعل للانغماس في الترف والملذات الدنيوية؛ للاستزادة ينظر: البسيوني، إبراهيم، *نشأة التصوف الإسلامي*، مصر: دار المعارف، 1969م.

(82) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 6، ص 455-460.

(83) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 46-47.

(84) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج 8، ص 237-238.

(85) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج 3، ص 176-177.

(86) ذكر الأقوال الأربعة الأولى المذكورة في بيان معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ دون ترجيح؛ ينظر: الحاكم الجشمي، المحسن بن محمد بن كرامة، *التهديب في التفسير*، ت: عبد الرحمن بن سليمان السالمي، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط 2، 2018م، ص 1184.

(87) الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ج 1، ص 366-367.

465هـ)⁽⁸⁸⁾ والألوسي⁽⁸⁹⁾ وابن عجيبة (ت: 1224هـ)⁽⁹⁰⁾، وما ورد من إشارات محتملة، كالنقل المنسوب إلى مالك (ت: 179هـ) في البيان والتحصيل عن موت عيسى عليه السلام⁽⁹¹⁾، فإنما جاء عبر "جامع العتبية"، وهو كتاب اشتهر بكثرة الروايات الشاذة والغريبة، كما نبّه عليه المقرئ (ت: 1041هـ)⁽⁹²⁾، مما يدلّ على أن مجرد ورود القول لا يقتضي شيوعه ولا اعتماده عند كبار المفسرين.

ثانيًا: استدلّ أصحابُ هذا الاتجاه بما نُسب إلى ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، بأن **﴿مُتَوَفِّيكَ﴾** تعني: ميمتك، إلا أن أهل العلم ضعّفوا هذا الأثر⁽⁹³⁾، ولذلك سعى بعض المفسرين إلى توجيهه بحمله على التقديم والتأخير؛ أي أن الوفاة تكون بعد النزول في آخر الزمان⁽⁹⁴⁾، وقال ابن عطية: "فقول ابن عباس: هي وفاة موت، لا بد أن يتمم، إما على قول وهب بن منبه، وإما على قول الفراء"⁽⁹⁵⁾، وقال القرطبي: "والصحيح أن الله تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا

(88) اكتفى القشيري بالمعنى الإشاري، قائلًا: "والإشارة فيه إني متوفيك عنك، وقابضك منك، ورافعك من نعوت البشرية، ...؛ القشيري، عبد الكرم بن هوازن، لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، ج1، ص245.

(89) الألوسي، روح المعاني، ج2، ص171-172.

(90) ذكر ابن عجيبة بعض الأقوال، وقال: "والإجماع على أنه لم يمّت"؛ ابن عجيبة، أحمد بن محمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله، القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي، 1419هـ، ج1، ص359.

(91) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد، البيان والتحصيل، تحقيق: محمد حجي وآخرون، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 1988م، ج18، ص449.

(92) المقرئ التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد، نفع الطيب من غصن الأنانلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ط1، 1997م، ج2، ص216؛ وصحّح ابن عطية بأن هذا القول منسوب لمالك في جامع العتبية؛ ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص444.

(93) العقل، عقل بن عبد الكرم، الآثار الواردة عن السلف في النصارى في تفسير الطبري: جمعًا وترتيبًا ودراسة عقديّة، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 2004م، ص502.

(94) ابن عبد البر، جهود الحفاظ ابن عبد البر في التفسير، ص158.

(95) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص444، وكما تقدّم في البحث، المقصود بقول وهب بن منبه: وفاة عيسى وفاة مؤقتة ثلاث ساعات، والمقصود بقول الفراء: التقديم والتأخير؛ ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص455؛ الفراء، معاني القرآن، ج1، ص219.

نوم، ...، وهو الصحيح عن ابن عباس⁽⁹⁶⁾، وتابعه الألويسي⁽⁹⁷⁾، وعليه فإن القول المنسوب إلى ابن عباس لا يثبت إسنادًا، وحتى على فرض ثبوته لا يُحمل على الإطلاق؛ لاضطراب توجيهه عند المفسرين، فضلاً عن مخالفته للروايات الصحيحة الثابتة.

ثالثاً: إن حمل ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ على الموت الدائم يقتضي ردَّ الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، بدعوى أنها أخبار آحاد، بينما منهج أهل السنة قائم على قبول خبر الآحاد في العقائد والأحكام، وقد قال الشافعي: "لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد"⁽⁹⁸⁾، وقال ابن عبد البر: "وكلُّهم يدينُ بخبرِ الواحدِ العدلِ في الاعتقادات، ويُعادي ويُوالي عليها"⁽⁹⁹⁾.

رابعاً: إمكان الجمع بين مدلول الآية والأحاديث الصحيحة من غير تعارض، وذلك بحمل ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ على أحد التأويلات المعتمدة عند أهل العلم، لا على معنى الموت الدائم، وحينئذ يُعتقد بأن عيسى عليه السلام حيٌّ الآن حياةً خاصةً، وأنه سينزل آخر الزمان، وأن نزوله علامة من علامات الساعة؛ وهو ما تؤيده قراءة الأعمش: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: 61] بفتح العين واللام الثانية⁽¹⁰⁰⁾، أي: "عَلَمًا" ظاهرًا يدلُّ على قرب الساعة، ولهذا ردَّ سيد طنطاوي (ت: 1431هـ) القول بالموت الدائم، قائلاً: "والذي تسكن إليه النفس هو القول الأول؛ أي: آخذك وافيًا بروحك وجسدك، ثم عدَّد أسباب رد القول بالموت الدائم"⁽¹⁰¹⁾.

خامساً: تدل آياتٌ أخرى على نفي موت عيسى عليه السلام، كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ هُمٌ﴾ [النساء: 157]، وهو نفي قاطعٌ للقتل والصلب⁽¹⁰²⁾، وكذلك قوله تعالى:

(96) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 4، ص 100.

(97) الألويسي، روح المعاني، ج 2، ص 172.

(98) الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط 1، 1938م، ص 458.

(99) ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: بشار عواد معروف، وآخرون، لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط 1، 2017م، ج 1، ص 199.

(100) قراءة غير متواترة: البقاعي، شمس الدين محمد بن خليل، إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز، تحقيق: أحمد خالد شكري، الأردن: دار عمّار للنشر والتوزيع، ط 1، 2003م، ص 649.

(101) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، مصر: دار نهضة مصر، ط 1، 1997-1998م، ج 2، ص 122.

(102) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج 2، ص 134.

﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: 159]، والضمير، على أرجح الأقوال، عائد إلى عيسى عليه السلام، أي: لا يبقى أحدٌ من أهل الكتاب إلا وسيؤمن به قبل موت عيسى عليه السلام نفسه، وذلك عند نزوله آخر الزمان، يقول الطبري: "وأولى الأقوال بالصحة والصواب، قول من قال: تأويل ذلك: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، ...، وأن ذلك كائن عند نزوله"⁽¹⁰³⁾، وبين الشنقيطي (ت: 1393هـ) أن ظاهر قوله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قد يُتوهم منه وقوع وفاة لعيسى عليه السلام، غير أن مجموع الآيات السابقة يدل على خلاف ذلك، ثم أجاب عن الإشكال بثلاثة أوجه: أولها: أن لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ لا يدل على تعيين زمن التوفي؛ فالله تعالى سيتوفاه، لكن لا دليل على أن ذلك قد وقع، وثانيها: أن المراد وفاة النوم، وثالثها: أن اللفظ بمعنى القبض والتحصيل؛ وهو التفسير الذي رجّحه الطبري⁽¹⁰⁴⁾، وهذا كله يعضد القول بأن وفاة عيسى عليه السلام لم تقع بعد، وأن نزوله آخر الزمان ثابتٌ بدلالة القرآن والسنة وآثار السلف.

سادساً: لعل أصحاب هذا القول، وهم رواد المدرسة الإصلاحية، ذهبوا إلى القول بالوفاة الحقيقية لعيسى عليه السلام وتأويل أحاديث نزوله، ما وقفوا عليه من واقع الأمة آنذاك؛ حيث شاع التواكل وانتظار الخلاص على يد عيسى والمهدي، وربط الإصلاح بأحداث خارقة، بدل الأخذ بسنن الله في النصر والتغيير، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: 7]، فسعوا إلى قطع هذا المسلك، والتأكيد على أن الإصلاح لا يتحقق إلا ببذل الأسباب الواقعية. وقد أشار محمد إسماعيل المقدم إلى هذا الدافع، مبيّناً أن هذا الفهم كان من أسباب إنكار بعض المعاصرين لأحاديث المهدي وعيسى؛ لما رأوا من توهم الناس أنها مدعاة للتواكل⁽¹⁰⁵⁾، وصرّح رشيد رضا بهذا المعنى عند حديثه عن انتظار الأمة للمهدي ونزول عيسى، فقال: "وَأِنَّمَا اقْتَضَتْ الْحَالُ أَنْ نَذْكُرَ مِنْ ضَرَرِهَا أَهْمًا - لِإِنْتِظَارِ الْمُسْلِمِينَ لَهَا، وَيَأْسِهِمْ مِنْ إِعَادَةِ عَدْلِ الْإِسْلَامِ وَتَجْدِيدِهِ بِدُونِهَا - فَكَانَتْ مَثَارَ فِتْنٍ عَظِيمَةٍ"⁽¹⁰⁶⁾.

(103) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 9، ص 388.

(104) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الرياض: دار عطاءات العلم، بيروت: دار ابن حزم، ط 5، 2019م، ص 57-58.

(105) المقدم، محمد أحمد إسماعيل، المهدي وفقه أشراف الساعة، الإسكندرية: الدار العالمية، ط 1، 2002م، ص 716.

(106) رشيد رضا، تفسير المنار، ج 6، ص 47.

سابعاً: ولعلَّ من العوامل المؤثرة أيضاً ما ظهر في العصر الحديث من حركات باطنية كالبهائية والقاديانية⁽¹⁰⁷⁾؛ حيث جعلت هذه الفرق القول بوفاة عيسى وفاةً أبديةً أساساً لدعواها بظهور "المسيح المنتظر" في مؤسسيتها، فادّعى البهائيون أن بهاء الله هو "المسيح الموعود"، كما في قوله: "أيها المنظرون للظهور لا تنتظروا فإنه قد أتى، ..."⁽¹⁰⁸⁾، وصرّح غلام أحمد القادياني بقوله: "فناداني ربي من السماء، ...، إنا جعلناك المسيح بن مريم، لأتم حجتي على قوم متنصرين"⁽¹⁰⁹⁾، فاتجهت الحركات الإصلاحية إلى مواجهة هذا الانحراف العقدي، وفي هذا السياق يقول رشيد رضا: "وَأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ فِي الْقُرْنَيْنِ الْمَاضِي وَالْحَاضِرِ دَجَالُونَ مِنْ إِيرَانَ، فَالْهِنْدِ، ادَّعَى بَعْضُهُمْ أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ، وَبَعْضُهُمْ أَنَّهُ نَبِيُّ يُوحَى إِلَيْهِ، وَشَارَعَ جَدِيدًا قَالَهُ مَعْبُودٌ، وَبَعْضُهُمْ أَنَّهُ الْمَسِيحُ الْمُنْتَهَرُ"⁽¹¹⁰⁾.

وأما الخوض في تفصيل حال رفع عيسى عليه السلام، أو كيفية نزوله آخر الزمان، فذلك باب واسع يحتاج إلى دراسة مستقلة متخصصة⁽¹¹¹⁾، وقد علّق محمد الغزالي على الخلاف في هذه المسألة بقوله: "والخطب سهل، والخلاف قريب، المهم الاعتقاد بأن عيسى عبد الله ورسوله، وليس إلهًا، ولا ابن إله"⁽¹¹²⁾.

(3) شكل توضيحي للأقوال المرجوحة

(107) ينظر عقائدهم: مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420هـ، ج1، ص409-420؛ ظهير، إحسان إلهي، البهائية: نقد وتحليل، باكستان: إدارة ترجمان السنة، ط2، 1981م.

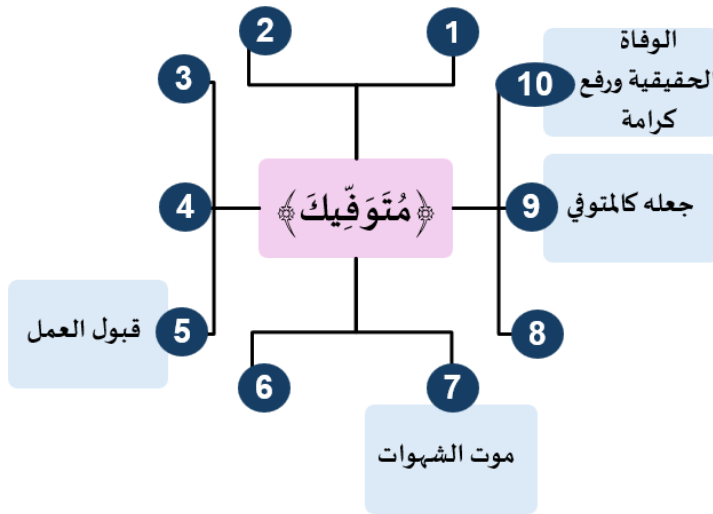
(108) أسلمنت، بحاء الله والعصر الجديد، مصر: لجنة النشر والترجمة البهائية، 1920م، ص31؛ ينظر: الكتاب الأقدس لبهاء الله، فقرة 1-10.

(109) القادياني، مرزا غلام أحمد، التبليغ، إنجلترا: دار الرقيم، ط2، 2014م، ص5-6.

(110) رشيد رضا، تفسير المنار، ج1، ص191.

(111) توسّع ابن باز في الرد على أصحاب القول العاشر؛ ينظر: ابن باز، عبد العزيز، مجموع فتاوى، جمع وإشراف: محمد الشويبر، السعودية: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء؛ ينظر: الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول عيسى: التويجري، حمود، إقامة البرهان في الرد على من أنكروا خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان، الرياض: مكتبة المعارف، 1405هـ؛ العمري، عبد الهادي، "قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ وَرَأْفَعُكَ إِلَيَّ﴾: دراسة عقديّة"، ع133، 2021م، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 461-488.

(112) الغزالي، محمد، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، مصر: دار الشروق، ط4، 1420هـ، ص37.

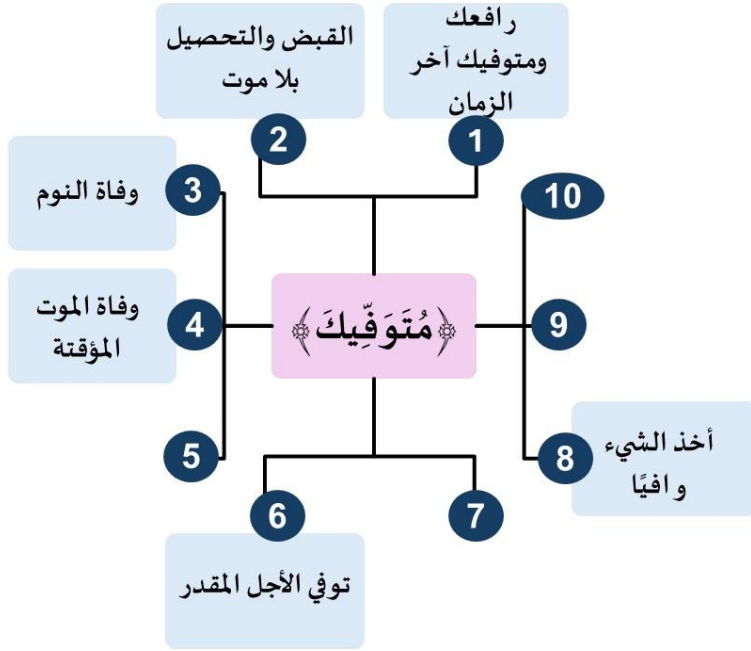


2.4 القول الراجح وأسس ترجيحه.

بعد النظر في الأقوال الواردة في معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، يظهر لي أن الأقوال الراجحة، وهي: التقديم والتأخير، والقبض والرفع، وتوفي النوم، والموت المؤقت، واستيفاء الأجل المقدر، والأخذ التام، تلتقي في معنى جامع، هو: الأخذ التام الوافي لعيسى عليه السلام، بقبضه من بين قومه، قبضاً خاصاً يصونه من مكر أعدائه، ثم رفعه إلى الله بروحه وجسده إلى مقام الكرامة، من غير وفاة دائمة، مع بقاء أجله الحقيقي مقدراً عند الله تعالى ليقع موته بعد نزوله آخر الزمان، فالاختلاف بين هذه الأقوال اختلاف تنوع يجتمع عند مآل واحد، والجمع بين المعاني الصحيحة المحتملة للفظ القرآني أليق بلغة القرآن، وثراء دلالاته، من الاقتصار على وجه واحد⁽¹¹³⁾.

(4) شكل توضيحي للأقوال المقبولة

(113) دراز، محمد بن عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، عناية: أحمد مصطفى فضلية، القاهرة: دار القلم



ويمكن دعم هذا الترجيح بما يأتي:

1. دلالة ظاهر اللفظ: حيث يَحْتَمِلُ لفظُ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ وجوهاً صحيحة، منها: الوفاة الحقيقية، أو استيفاء الأجل، أو وفاة النوم، أو القبض والتحصيل وأخذ الشيء وافياً؛ وهي معانٍ جارية على سنن العربية واستعمالات القرآن، وعبر الفيروزآبادي (ت: 817هـ) عن هذه السعة الدلالية بقوله: "قيل: تَوَفَّى رِفْعَةً واختصاص لا تَوَفَّى موت، وقال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه: تَوَفَّى مَوْتٌ لِأَنَّهُ أَمَاتَهُ ثُمَّ أَحْيَاهُ" (114).
2. اتساق الأقوال وعدم تعارضها: فمع اختلاف عباراتها، فهي متفقة على أن عيسى عليه السلام حيٌّ، وأن رفعه كان تكريماً، والجمع بينها أوفق من إلغاء بعضها، وقد أشار ولي الله الدهلوي (ت: 1176هـ) إلى ذلك، ناقلاً قول أبي الدرداء: "لا يكون الرجل فقيهاً حتى يحمل الآية الواحدة على محامل متعددة" (115).

(114) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ج 5، ص 245.

(115) ولي الله الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، الفوز الكبير في أصول التفسير، عزته: سلمان الحسيني الندوي، القاهرة: دار الصحوة، ط 2، 1407هـ، ص 98.

3. سعة مدلول اللفظ واختلاف العلماء: باختلاف المتقدمين والمتأخرين يدل على عدم وجود نصّ قطعيّ يُحسم به أحدُ المعاني دون الآخر؛ فقد قال ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ): "وإنما اختلفوا: هل مات قبل أن يُرْفَع، أو نام فُرْفِع" (116)، وهذا الاختلاف يدل على أن الباب بابُ اجتهادٍ واحتمال.

4. اعتبار القول بالتقديم والتأخير: وهو قولٌ سائغ، تشهد له استعمالات القرآن، كقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَمَا يُجْعَلُ لَهُ عِوَجًا 1 قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: 1-2]، "أي أنزل الكتاب قيما" (117)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: 129]، "والتقديري ولولا كلمة سبقت من ربك وكان لزاما" (118)، وقرر السيرافي (ت: 368هـ) قاعدة النحويين بقوله: "وأجمع النحويون واللغويون من البصريين والكوفيين أن الواو لا توجب تقدم، وما تقدم لفظه" (119)، مما يجعل هذا الوجه معتبراً غير متكلف.

5. ترجيحات السلف: رجح الطبري أن معنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ هو قبض عيسى عليه السلام من الأرض، ودفع أذى اليهود ثم رفعه، مستنداً إلى الأحاديث الصحيحة الواردة في نزوله آخر الزمان، وإلى الآثار؛ كقول مطر الوراق: "﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ من الدنيا، وليس بوفاة موت"، وقول الحسن البصري: "﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ من الأرض" (120)، وأكد ابن عطية الإجماع على حياة عيسى عليه السلام في السماء (121).

(116) ابن حجر العسقلاني، التلخيص الحبير، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1989م، ج3، ص462، رقم (1607).

(117) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج3، ص495.

(118) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص99.

(119) السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان، شرح كتاب سيويه، تحقيق: أحمد مهدي وعلي سيد علي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2008م، ج2، ص330؛ وإن كان تعقبه ابن هشام، قائلًا: "وهذا الذي ذكرناه قول أكثر أهل العلم من النحاة وغيرهم وليس بإجماع كما قال السيرافي، بل رُوي عن بعض الكوفيين أن الواو للترتيب": ابن هشام، جمال الدين، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط11، 1383هـ، ص302.

(120) أخرج الطبري القولين في تفسيره، رقم (7134-7135) على الترتيب، وأخرج ابن أبي حاتم القول الثاني في تفسيره، رقم (3582).

(121) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج1، ص444.

6. مناقشة ترجيح الطبري: استند الطبري في ترجيحه للقول الثاني؛ القبض والتحصيل، إلى أن إمامة عيسى ثم إحياءه ثم إمامته ثانية يقتضي اجتماع ميتين، وهو مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: 40]⁽¹²²⁾، غير أن هذا التعليل محل نظر؛ إذ دلّ القرآن على وقوع إحياء خاصٍ للموتى في الدنيا على سبيل الآية والقدرة، من غير معارضة للسنة العامة في الموت والبعث، كما في قصص بني إسرائيل، ومعجزات عيسى عليه السلام في إحياء الموتى بإذن الله، وقد نبه ابن عثيمين (ت: 1421هـ)، بعد حصره لهذه المواضع في سورة البقرة، إلى أن ذلك "لا ينافي هذا ما ذكر الله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ 15 ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: 15-16]؛ لأن هذه القصص الخمس، وغيرها،...، تعتبر أمرًا عارضًا يُؤتى به لآية من آيات الله سبحانه وتعالى؛ أمّا البعث العام فإنه لا يكون إلا يوم القيامة"⁽¹²³⁾، ومن هنا فترجيح الطبري لقول واحدٍ فقط يحتاج إلى نظر، ولا يصلح مانعًا من احتمال الوفاة المؤقتة لعيسى عليه السلام ثم رفعه بعد ذلك، ولا يترتب على التوسعة الدلالية لوازم ممتنعة.

7. إمكان الجمع مع أحاديث النزول: رأى القرطبي بعد القول بالوفاة المؤقتة؛ لإثبات السنة نزوله وقتله الدجال⁽¹²⁴⁾، غير أنّ هذا لا تعارض فيه؛ إذ يجوز أن تقع وفاة مؤقتة يعقبها إحياء، على أن تكون الوفاة الحقيقية بعد نزوله، كما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة؛ ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا»⁽¹²⁵⁾، وفي رواية أبي داود: «ويُهْلِكُ اللهُ في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويُهْلِكُ المسيحَ الدجالَ، فيمكثُ في الأرض أربعين سنةً، ثم يُتوفى فيصلي عليه المسلمون»⁽¹²⁶⁾.

(122) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج6، ص460.

(123) العنيمين، محمد بن صالح، تفسير الفاتحة والبقرة، السعودية: ابن الجوزي، ط1، 1423هـ، ج1، ص193.

(124) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط3، 1964م، ج4، ص101.

(125) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم، ج4، ص168، رقم (3448)، واللفظ له؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام حاكمًا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ج1، ص135، رقم (155).

(126) أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ج6، ص378، رقم (4324)، وقال المحقق: حديث صحيح دون قوله: "فيصلي عليه المسلمون".

8. الدراسة اللغوية لجذر "التوفي" تدل على سعة الدلالة التي يحتملها، وقد نبّه الشعراوي (ت: 1419هـ) إلى هذا المعنى بقوله: "إن منطق القرآن الكريم يبيّن لنا أن كلمة «التوفي» ليس معناها هو الموت فقط ولكن لها معانٍ أخرى"⁽¹²⁷⁾، واختار بعضُ المفسرين هذا المنهج الجامع، كابن عثيمين، الذي مال إلى أن المراد بـ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ وفاةُ النومِ وفقاً لبعيسى عليه السلام؛ تعليلاً بأن الانتقال بين الأرض والسماء شأنٌ عظيم، ولكنه ختم بقوله: "لكن هذا القول لا ينافي القول الأول الذي معناه قابضك؛ لأن نهايتهما واحدة"⁽¹²⁸⁾.

9. تفسير "أخذ الشيء وإفياً؛ مكملٌ لـ"القبض والرفع": فهو تفصيلٌ لا تعارض فيه، وتأكيدهُ لمعجزة عيسى، "وختمه من بين البشر على وجه آية يكون له عليهم، من أول أحوال ظهوره، إلى آخر أحوال مقامه فيهم"⁽¹²⁹⁾، وقد عبّر المفسرون عن هذا المعنى بصيغٍ متقاربة، كقول الواحدي (ت: 468هـ): "قابضك من غير موتٍ، وإفياً تاماً، أي: لم ينالوا منك شيئاً"⁽¹³⁰⁾، وهو ما يشير إلى أن قبضه عليه السلام كان قبضاً تاماً بروحه وجسده جميعاً، كما جاء في فتاوى اللجنة الدائمة: "ولأن اسم عيسى عليه السلام حقيقة في الروح والبدن جميعاً فلا ينصرف إلى أحدهما عند الإطلاق إلا بقرينة ولا قرينة هنا"⁽¹³¹⁾.

10. شاهد السنة في استعمال "التوفي" بمعنى الأخذ التام: كما في حديث جابر رضي الله عنه، حين باع جملة للنبي صلى الله عليه وسلم، فأعطاه صلى الله عليه وسلم الثمن والجمال، فقال صلى الله عليه وسلم له: «يَا جَابِرُ! أَتَوَفِّيَتَ الثَّمَنَ»⁽¹³²⁾، أي: أخذته كاملاً غير منقوص.

11. إنَّ ما في الآية من تشابهٍ إنما هو تشابهٌ نسبي ناشئ عن تعدُّد الدلالة اللغوية للفظ "التوفي" في الاستعمال القرآني، وهو ما دعا المفسرين إلى الاجتهاد في حمل اللفظ على أحد معانيه المحتملة،

(127) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي - الخواطر، القاهرة: مطابع أخبار اليوم، 1997م، ج3، ص1501.

(128) العنيمين، محمد بن صالح، تفسير آل عمران، السعودية: ابن الجوزي، ط3، 1435هـ، ج1، ص322.

(129) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج2، ص386.

(130) الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ص213.

(131) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الأولى، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ج3، ص306.

(132) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب من عقل بغيره على البلاط أو باب المسجد، ج3، ص135، رقم

(2470)؛ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، ج3، ص1223، رقم (715)، واللفظ لمسلم.

والجمع بينه وبين النصوص المحكمة؛ كقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: 158]، والأحاديث الصحيحة الدالة على نزوله في آخر الزمان، ومن ثمّ جاء اختلاف الأقوال في تفسير اللفظ اختلافًا تنوّع سببه هذه السعة الدلالية⁽¹³³⁾.

5. الخاتمة

خلص البحث إلى أن لفظ "التوفي" يدور في أصله اللغوي على معنى الإكمال والإتمام، وأن استعماله القرآني لا ينحصر في معنى الموت، بل يردّ بحسب السياق في معانٍ متعددة، منها النوم، والموت، والأخذ التام، وأسهم هذا الاتساع الدلالي في نشوء أربعة اتجاهات تفسيرية رئيسة في فهم ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾: القول بالتقديم والتأخير، وحمل اللفظ على أحد معانيه اللغوية، والتفسير المجازي، واتجاه التوقف.

وتبيّن أن المفسرين ذكروا عشرة معانٍ للفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، تنوعت بين معانٍ لغوية وسياقية ومجازية، وأظهر التحليل المقارن رجحان ستة من هذه الأقوال؛ لاتساقها مع الدلالة العربية، والسياق القرآني، وآثار السلف، في مقابل أربعة أقوال مرجوحة، أبرزها القول بالوفاة الحقيقية الأبدية؛ لكونه قولاً طارئاً، متكئاً على تأويل الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول عيسى أو ردها.

وتلتقي الأقوال الراجحة في معنى جامع، يتمثل في الأخذ التام الوافي لعيسى، بقبضه من بين قومه قبضاً خاصاً يصونه من مكر أعدائه، ثم رفعه إلى الله تعالى بروحه وجسده إلى مقام الكرامة، من غير وفاة دائمة، مع بقاء أجله الحقيقي مقدراً عند الله تعالى، ليقع موته بعد نزوله آخر الزمان. كما أبرزت الدراسة مسار تطور فهم الآية عبر المراحل التفسيرية المختلفة؛ إذ بدأ الأمر باعتماد ظاهر على الروايات عند المفسرين الأوائل، ثم اتسع النظر اللغوي⁽¹³⁴⁾، وحضرت بعض الإشارات

(133) أدرج الزركشي تفسير لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ في البرهان في "النوع السادس والأربعين: في أساليب القرآن وفنونه البليغة" في التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص244؛ وأدرجه السيوطي في الإتيان في "النوع السادس والثلاثين: في معرفة غريبه" فقال: "متوفيك: مميتك"، وكذلك في "النوع الرابع والأربعين": في مقدمه ومؤخره، فقال: "أي: رافعك إلي ومتوفيك": السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: ج2، ص8؛ ج3، ص38.

(134) بعد الطبري (ت: 310هـ)، بدأ العلماء يتوسعون في دلالات الألفاظ القرآنية، وإبراز الأبعاد اللغوية؛ عبّاس، فضل حسن، التفسير والمفسرون، الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 2016م، ج1، ص249.

الصوفية، ثم ظهر الاتجاه العقلي الحديث⁽¹³⁵⁾ الذي أعاد النظر في الروايات وحجيتها، ويكشف هذا عن طبيعة الآية بوصفها من المتشابه النسبي، الذي يقبل الاجتهاد في دلالات ألفاظه، مع بقاء الأصول العقدية المحكمة ثابتة، كالنفي القطعي لقتل عيسى وصلبه، وإثبات بشريته، وعبوديته، ونبوته.

وقد ثبت بطلان استدلال النصارى بحصر معنى "التوفي" في الموت الحقيقي؛ لما تبين من تعدد دلالاته لغويًا وقرآنيًا، كما أكدت الدراسة أهمية الجمع بين الدلالة اللغوية، والسياق القرآني، وأقوال السلف، ضمن قراءة مقارنة تستوعب تنوع الأقوال، وتعين على الوصول إلى الفهم الأرجح لمعنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾.

يوصي البحث في ختام الدراسة بالآتي:

1. دراسة أثر السياقات الفكرية والاجتماعية في توجيه المدرسة الإصلاحية المعاصرة في تفسير قضايا الغيب.
2. التوسع في الدراسات التفسيرية المقارنة لتوظيف تنوع الأقوال في خدمة القضايا العقدية والفقهية والمعاصرة.

References

- ‘Abbās, Faḍl Ḥasan, *al-Tafsīr wa-al-Mufasssīrūn*. (2016). Jordan: Dār al-Nafā’is li-l-Nashr wa-al-Tawzī.
- ‘Abd al-Bāqī, Muḥammad Fu’ād. *al-Mu’jam al-Mufahras li-alfāz al-Qur’ān al-Karīm*. (1364H). Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyya.
- Abu ‘Abd al-Rahman al-Sulami, Muhammad ibn al-Husayn. *Tabaqat al-Sufiyyah*. (1998). Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Abu ‘Amr al-Dani, ‘Uthman ibn Sa‘id. *Al-Bayan fi ‘Add Ay al-Qur’an*. (1414H). Kuwait: Markaz al-Makhtutat.
- Abu Dawud, Sulayman ibn al-Ash‘ath. *Sunan Abi Dawud*. [n.p.]: Dar al-Risalah al-‘Alamiyyah.

(135) المقصود بالاتجاه العقلي الحديث: الاتجاه التفسيري الذي يسعى للتقريب والتوفيق بين العلم والدين، وبيان أن الإسلام دين العقل، ومحاولة تفسير القرآن على هذا المنهج، وقد ارتبط هذا الاتجاه بالحركة الإصلاحية الحديثة، وكان من أبرز أعلامه: جمال الدين الأفغاني (ت: 1314هـ)، ومحمد عبده، وتلاميذه: المراغي، ورشيد رضا، وغيرهم كثير؛ ينظر: الرومي، فهد، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ، ج2، ص717.

- Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf ibn 'Ali. *Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir*. (1420H). Beirut: Dar al-Fikr.
- Abu Hilal al-'Askari, al-Hasan ibn 'Abd Allah ibn Sahl ibn Sa'id. *Al-Wujuh wa al-Naza'ir*. (2007). Cairo: Maktabat al-Thaqafah al-Diniyyah.
- Abu Su'ud, Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa. *Irshad al-'Aql al-Salim ila Mazaya al-Kitab al-Karim*. Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Abu Zahrah, Muhammad ibn Ahmad. *Zahrat al-Tafasir*. [n.p.]: Dar al-Fikr al-'Arabi.
- Al-Albani, Muhammad Nasir al-Din. *Al-Ahadith al-Da'ifah wa al-Mawdu'ah*. (1412H). Riyadh: Maktabat al-Ma'arif.
- Al-Alusi, Mahmud ibn 'Abd Allah. *Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-'Azim wa al-Sab' al-Mathani*. (1415H). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-'Aql, 'Aql ibn 'Abd al-Karim, *al-Āthār al-Wāridah 'an al-Salaf fī al-Naṣārā fī Tafsīr al-Ṭabarī: Jam'an wa-Tartīban wa-Dirāsah 'Aqdiyyah*. (2004). PhD Dissertation, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, Saudi Arabia.
- Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad. *Tahdhib al-Lughah*. (2001). Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Baghawi, al-Husayn ibn Mas'ud. *Ma'alim al-Tanzil fi Tafsir al-Qur'an*. (1417H). Dar Taybah li al-Nashr wa al-Tawzi'.
- Al-Baydawi, 'Abd Allah ibn 'Umar. *Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil*. (1418H). Beirut: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi.
- Al-Biqā'i, Ibrahim ibn 'Umar. *Nazm al-Durar fi Tanāsub al-Ayat wa al-Suwar*. Cairo: Dar al-Kitab al-Islami.
- Al-Bisyūnī, Ibrāhīm, *Nash'at al-Taṣawwuf al-Islāmī*. (1969). Miṣr: Dār al-Ma'ārif.
- Al-Bukhari, Muhammad ibn Isma'il. *Sahih al-Bukhari*. (1422H). Beirut: Tuq al-Najat.
- Al-Dhahabī, Muḥammad ibn Aḥmad ibn 'Uthmān. *Siyar A'lām al-Nubalā'*. (1985). Ed. Majmū'at min al-muḥaqqiqīn, under the supervision of Shu'ayb al-Arna'ūt. Mu'assasat al-Risālah.
- Al-Farra', Yahya ibn Ziyad. *Ma'ani al-Qur'an*. Egypt: al-Dar al-Misriyyah li al-Ta'lif wa al-Tarjamah.
- Al-Firuzabadi, Muhammad ibn Ya'qub. *Basair Dhuwi al-Tamayyuz fi Lata'if al-Kitab al-'Aziz*. Cairo: al-Majlis al-'Ala li al-Shu'un al-Islamiyyah.
- Al-Ghazali, Muhammad. *Nahwa Tafsir Mawdu'i li Suwar al-Qur'an al-Karim*. (1420H). Egypt: Dar al-Shuruq.
- Al-Ḥaddād, Yūsuf Durrah. *Al-Injīl fī al-Qur'ān*. (1993). Lebanon: Manshūrāt al-Maktabah al-Būlisiyyah.
- Al-Ḥākīm al-Jushamī, al-Muḥsin ibn Muḥammad ibn Karāmah. *Al-Tahdhib fī al-Tafsīr*. Edited by 'Abd al-Raḥmān ibn Sulaymān al-Sālimī. (2018). Cairo: Dār al-Kitāb al-Miṣrī; Beirut: Dār al-Kitāb al-Lubnānī.

- Al-Jurjānī, ‘Alī ibn Muḥammad ibn ‘Alī al-Zayn al-Sharīf, *al-Ta’rīfāt*, ed. Jamā‘ah min al-‘Ulamā’ (under the supervision of the publisher). Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Al-Kharnq bint Badr ibn Hufān. *Dīwān al-Kharnq bint Badr ibn Hufān*. Ḥusayn Naṣṣār. (1996). Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyya.
- Al-Lajnah al-Da‘imah li al-Buhuth al-‘Ilmiyyah wa al-Ifta’. *Fatawa al-Lajnah al-Da‘imah*. Riyadh: Ri’asat Idarat al-Buhuth al-‘Ilmiyyah wa al-Ifta’.
- Al-Maqarrī al-Tilimsānī, Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Muḥammad, *Nafḥ al-Ṭīb min Ghuṣn al-Andalus al-Raṭīb*, ed. Iḥsān ‘Abbās. (1997). Beirut: Dār Ṣādir.
- Al-Maraghi, Ahmad ibn Mustafa. *Tafsir al-Maraghi*. (1946). Egypt: Sharikat Maktabat wa Matba‘at Mustafa al-Babi al-Halabi wa Awladuhu.
- Al-Maturidi, Muhammad ibn Muhammad. *Ta’wilat Ahl al-Sunnah*. (2005). Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Al-Muhaymi, ‘Ali ibn Ahmad ibn Ibrahim. *Tabsir al-Rahman wa Taysir al-Mannan*. (1295H). Egypt: Matba‘at Bulaq.
- Al-Muqaddam, Muḥammad Aḥmad Ismā‘īl, *al-Mahdī wa-Fiqh Ashrāṭ al-Sā‘ah*, (2002). Alexandria: al-Dār al-‘Ālamiyyah.
- Al-Qabbaqībi, Shams al-Din Muhammad ibn Khalil. *Idah al-Rumuz wa Miftah al-Kunuz*. (2003). Jordan: Dar ‘Ammar.
- Al-Qāḍī ‘Abd al-Jabbār, Aḥmad. *Sharḥ al-uṣūl al-khamsa*. (1993). Taḥqīq: ‘Abd al-Karīm ‘Uthmān. Miṣr: Maktabat Wahbah.
- Al-Qādiyānī, Mīrzā Ghulām Aḥmad, *al-Tablīgh*. (2014). England: Dār al-Raqīm.
- Al-Qasimi, Muhammad Jamal al-Din ibn Muhammad Sa‘id. *Mahasīn al-Ta’wil*. (1418H). Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad al-Ansari. *Al-Jami‘li Ahkam al-Qur’an*. (1964). Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyyah.
- Al-Qushayrī, ‘Abd al-Karīm ibn Hawāzin. *Laṭā‘if al-Ishārāt*. Ibrāhīm al-Basyūnī. Egypt: al-Hay’ah al-Miṣriyyah al-‘Āmmah lil-Kitāb.
- Al-Razi, Muhammad ibn ‘Umar. *Mafatih al-Ghayb (al-Tafsir al-Kabir)*. (1420H). Beirut: Dar Ihya’ al-Turath al-‘Arabi.
- Al-Rūmī, Fahd. *Ittijāhāt al-Tafsīr fī al-Qarn al-Rābi‘ ‘Ashar*. (1405H). Beirut: Mu’assasat al-Risālah.
- Al-Sa‘di, ‘Abd al-Rahman ibn Nasir ibn ‘Abd Allah. *Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan*. (1420H). Beirut: Mu’assasat al-Risalah.
- Al-Samarqandi, Nasr ibn Muhammad. *Bahr al-‘Ulum*. (1413H). Lebanon: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyyah.
- Al-Shafi‘i, Muhammad ibn Idris. *Al-Risalah*. (1938). Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi wa Awladuhu.

- Al-Shanqiti, Muhammad al-Amin ibn Muhammad al-Mukhtar. *Adwa' al-Bayan fi Idah al-Qur'an bi al-Qur'an*. (1995). Beirut: Dar al-Fikr.
- Al-Sha'rawi, Muhammad Mutawalli. *Tafsir al-Sha'rawi – al-Khawatir*. (1997). Cairo: Matabi' Akhbar al-Yawm.
- Al-Shawkani, Muhammad ibn 'Ali. *Fath al-Qadir*. (1414H). Damascus: Dar Ibn Kathir; Beirut: Dar al-Kalim al-Tayyib.
- Al-Sirafi, al-Hasan ibn 'Abd Allah ibn al-Marzuban. *Sharh Kitab Sibawayh*. (2008). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din 'Abd al-Rahman. *Al-Itqan fi 'Ulum al-Qur'an*. (1974). Egypt: al-Hay'ah al-Misriyyah al-'Ammah lil-Kitab.
- Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. *Jami'al-Bayan 'an Ta'wil Ay al-Qur'an*. Makkah al-Mukarramah: Dar al-Tarbiyah wa al-Turath.
- Al-Tha'labi, Ahmad ibn Muhammad. *al-Kashf wa-al-Bayān 'an Tafsīr al-Qur'ān*. Abī Muḥammad ibn 'Ashūr. (2002). Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī.
- Al-Tuwayjiri, Hamud. *Iqamat al-Burhan fi al-Radd 'ala man Ankar Khuruj al-Mahdi wa al-Dajjal wa Nuzul al-Masih fi Akhir al-Zaman*. (1405H). Riyadh: Maktabat al-Ma'arif.
- Al-'Umari, 'Abd al-Hādī. "Qawlahu Ta'ālā: *Inni Mutawaffika wa Rāfi'uka Ilayya*: Dirāsah 'Aqdiyyah." *Majallat Kulliyat Dār al-'Ulūm, Jāmi'at al-Qāhirah* 133(2021): 461–488.
- Al-'Uthaymin, Muhammad ibn Salih. *Tafsir al-Fatihah wa al-Baqarah*. (1423H). Saudi Arabia: Ibn al-Jawzi.
- Al-'Uthaymin. *Tafsir Al 'Imran*. (1435H). Saudi Arabia: Ibn al-Jawzi.
- Al-Wahidi, 'Ali ibn Ahmad. *Asbab Nuzul al-Qur'an*. 1411H. Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
- Al-Wahidi. *Al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-'Aziz*. (1415H). Damascus: Dar al-Qalam; Beirut: al-Dar al-Shamiyyah.
- Al-Zamakhshari, Mahmud ibn 'Amr. *Al-Kashshaf 'an Haqa'iq Ghawamid al-Tanzil*. (1407H). Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi.
- Al-Zarkashi, Muhammad ibn Bahadur. *Al-Bahr al-Muhit fi Usul al-Fiqh*. (1994). Dar al-Kutubi.
- Al-Zarkashi. *Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an*. (1957). Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah 'Isa al-Halabi.
- Aslamant. *Bahā' Allāh wa-al-'Aṣr al-Jadīd*. (1920). Miṣr: Lajnat al-Nashr wa-al-Tarjama al-Bahā'iyya.
- Daraz, Muhammad ibn 'Abd Allah. *Al-Naba' al-'Azim: Nazarat Jadidah fi al-Qur'an al-Karim*. (2005). Cairo: Dar al-Qalam.
- Darwazah, Muhammad 'Izzat. *Al-Tafsir al-Hadith*. (1383H). Cairo: Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah.

- Farḥāt, Aḥmad Ḥasan. *Makkī ibn Abī Ṭālib wa-Tafsīr al-Qurʾān*. (1997). Jordan: Dār ʿAmmār.
- Ibn ʿAbd al-Barr, Yusuf ibn ʿAbd Allah. *Al-Tamhid lima fi al-Muwattaʾ min al-Maʿani wa al-Asanid*. (2017). London: Muʾassasat al-Furqan lil-Turath al-Islami.
- Ibn ʿAbd al-Barr, Yusuf ibn ʿAbd Allah. *Juhud al-Hafiz Ibn ʿAbd al-Barr fi al-Tafsir*. Collected and verified by Muhammad al-Sufi. (2011). Beirut: Dar Ibn Hazm.
- Ibn ʿAbd al-Salam, ʿIzz al-Din. *Al-Imam fi Bayan Adillat al-Ahkam*. (1407H). Beirut: Dar al-Bashaʿir al-Islamiyyah.
- Ibn Abi Hatim, ʿAbd al-Rahman ibn Muhammad ibn Idris. *Tafsir al-Qurʾan al-ʿAzim*. (1419H). Maktabat Nizar Mustafa al-Baz.
- Ibn ʿAjībah, Aḥmad ibn Muḥammad ibn al-Mahdī. *Al-Baḥr al-Madīd fi Tafsīr al-Qurʾān al-Majīd*. Aḥmad ʿAbd Allāh. (1419H). Cairo: Dr. Ḥasan ʿAbbās Zakī.
- Ibn al-Athīr, al-Mubārak ibn Muḥammad. *Al-Nihāyah fi Gharīb al-Ḥadīth wa al-Athar*. Ṭāhir al-Zāwī and Maḥmūd al-Ṭanāḥī. (1979). Beirut: al-Maktabah al-ʿIlmiyyah.
- Ibn al-Jawzi, ʿAbd al-Rahman ibn ʿAli. *Nuzhat al-ʿAyun al-Nawazir fi ʿIlm al-Wujuh wa al-Nazaʿir*. (1984). Beirut: Muʾassasat al-Risalah.
- Ibn ʿAsakir, ʿAli ibn al-Hasan ibn Hibat Allah. *Tarikh Dimashq*. (1995). Dar al-Fikr.
- Ibn ʿAshur, Muhammad al-Tahir ibn Muhammad ibn Muhammad. *Al-Tahrir wa al-Tanwir*. (1984). Tunis: al-Dar al-Tunisiyyah lil-Nashr.
- Ibn ʿAtiyyah, ʿAbd al-Haqq ibn Ghalib ibn ʿAbd al-Rahman. *Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-ʿAziz*. (1422H). Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
- Ibn Baz, ʿAbd al-ʿAziz. *Majmuʿ Fatawa*. Saudi Arabia: Riʿasat Idarat al-Buhuth al-ʿIlmiyyah wa al-Iftaʾ.
- Ibn Faris, Ahmad ibn Faris. *Maqayis al-Lughah*. (1979). Dar al-Fikr.
- Ibn Hajar al-ʿAsqalani, Ahmad ibn ʿAli. *Al-Talkhis al-Habir*. (1989). Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
- Ibn Hajar al-ʿAsqalani. *Fath al-Bari bi Sharh al-Bukhari*. (1380H). Egypt: al-Maktabah al-Salafiyyah.
- Ibn Hisham, Jamal al-Din. *Sharh Qatr al-Nada wa Ball al-Sada*. (1383H). Egypt: al-Maktabah al-Tijariyyah al-Kubra.
- Ibn Kathir, Ismaʿil ibn ʿUmar. *Tafsir al-Qurʾan al-ʿAzim*. (1999). Dar Taybah.
- Ibn Manzūr, Muḥammad ibn Mukarram ibn ʿAlī. *Lisān al-ʿArab*. Yūsuf al-Shaykh Muḥammad. (1414H). Beirut: Dār Ṣādir.
- Ibn Qutaybah, ʿAbd Allah ibn Muslim. *Gharīb al-Qurʾan*. (1398H). Egypt: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyyah.
- Ibn Rushd, Abu al-Walid Muhammad ibn Ahmad. *Al-Bayan wa al-Tahsil*. (1988). Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.

- Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn ‘Abd al-Halim. *Al-Jawab al-Sahih li man Baddala Din al-Masih*. (1419H). Saudi Arabia: Dar al-‘Asimah.
- Ibn Taymiyyah. *Majmu‘al-Fatawa*. Saudi Arabia: Mujamma‘al-Malik Fahd li Tiba‘at al-Mushaf al-Sharif.
- Majmū‘at min al-Mu‘allifin. *al-Mawsū‘ah al-Maysarah fī al-Adyān wa-al-Madhāhib wa-al-Aḥzāb al-Mu‘āṣirah*. (1420H). Dār al-Nadwah al-‘Ālamīyah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī.
- Maki, Abu Muhammad Maki ibn Abi Talib. *Al-Hidayah ila Bulugh al-Nihayah*. (2008). Sharjah: University of Sharjah.
- Muqatil, Muqatil ibn Sulayman. *Tafsir Muqatil ibn Sulayman*. (1423H). Beirut: Dar Ihya’ al-Turath.
- Muslim, Abu al-Husayn Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Naysaburi. *Sahih Muslim*. Cairo: Dar Ihya’ al-Kutub al-‘Arabiyyah, Faisal ‘Isa al-Babi al-Halabi.
- Qutb, Sayyid. *Fi Zilal al-Qur’an*. (1423H). Cairo: Dar al-Shuruq.
- Rashid Rida, Muhammad Rashid ibn ‘Ali Rida. *Tafsir al-Qur’an al-Hakim (Tafsir al-Manar)*. (1990). Cairo: al-Hay’ah al-Misriyyah al-‘Ammah lil-Kitab.
- Ṭanṭāwī, Muḥammad Sayyid. *al-Tafsīr al-Wasīṭ*. (1997–1998). Miṣr: Dār Nahḍat Miṣr.
- Wali Allah al-Dihlawi, Ahmad ibn ‘Abd al-Rahim. *Al-Fawz al-Kabir fi Usul al-Tafsir*. (1407H). Cairo: Dar al-Sahwah.
- Zahīr, Iḥsān Ilāha. *al-Bahā’iyyah: Naqd wa-Taḥlīl*. (1981). Pakistan: Idārat Tarjumān al-Sunnah.
- Zayn al-Dīn al-Rāzī, Muḥammad ibn Abī Bakr. *Mukhtār al-Ṣiḥāh*. Edited by Yūsuf al-Shaykh Muḥammad. (1420H). Beirut: al-Maktaba al-‘Aṣriyya; Ṣaydā: al-Dār al-Namūdhajīyya.